الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

حجاجية الكلمة في البيان النبوي

- دراسة تطبيقية في الأربعين النووية -

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية في تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبة :
* نـــوال عمامرة

إشراف الأستاذ الدكتور:
نصر الديـــن وهابي

الاسم واللقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
أ. علي كرباع	أستاذ محاضرة	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	رئيساً
د. نصر الدين وهابي	دكتور محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	مشرفاً ومقرّراً
أ. سليم حمدان	أستاذ محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1435 ـ 1436هـ / 2014 ـ 2015م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

حجاجية الكلمة في البيان النبوي

- دراسة تطبيقية في الأربعين النووية -

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية في تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبة :
* نـــوال عمامرة

إشراف الأستاذ الدكتور:
نصر الديـــن وهابي

الاسم واللقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
أ. علي كرباع	أستاذ محاضرة	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	رئيساً
د. نصر الدين وهابي	دكتور محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	مشرفاً ومقرّراً
أ. سليم حمدان	أستاذ محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1435 ـ 1436هـ / 2014 ـ 2015م

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

العنكبوت الآية 18

كلمـة شكـر

لله الشكر من قبل ومن بعد

في البدء كل الشكر وعظيم الامتنان أزجي بهما إلى أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور نصر الدين وهابي لوقوفه سندا أمينا يعينني دون أن يتوانى عن توجيه نصحه وإرشاده وبثه روح العزيمة والإرادة في نفسي مما مكنني من تذليـــل الصعاب وتجاوز العقبات لإتمام هذه الدراسة وإخراجها إلى الحياة .

وفي هذا المقام أقدم شكري العميق وتقديري البالغ الى الأساتذة لتكرمهم بقبول مناقشة رسالتي .

ولا يفوتني هنا أن أقدم خالص شكري وجزيل عرفاني الى جميع أفراد عائلتي فبهم تم الأمل وتحققت المنى .

والى كل من تقاسمت وإياهم لحظات الأمل والألم لهم منـي كل الشكر وعميق المحبة .نـــــوال

الإهـداء

إلى الذين تحفني بركات دعائهما في كل خطوة أخطوها أمي

وأبي حفظهما الله .

وإلى إخوتي مبروك وعبد القادر وسالم وجابر ومحمد ياسين

وإلى أخواتي حياة ونور الهدى وياسمين

وإلى كل من تتلمذت له على مقاعد الدراسة أو في الحياة

وإلى أمي الجزائر وحبيبتي فلسطين

وإلى كل من يهمه أمر اللغة العربية

وإلى كل من تقاسمت وإياهم لحظات الأمل والألم

وإلى كل الأصدقاء

أهدي هذا البحث .

مـــقـــدّمـــة

اللغة نظام من رموز صوتية واصطلاحية ،تعبر هي وما يصاحبها، ويلابسها، عن غرض ،أو حال ،هذه الظاهرة التي لم تتوقف عن شغل بال الإنسان ،خاصة وإذا كانت متنا لنص إبداعي، وفي الفترة الأخيرة شهدت الدراسات اللغوية، والأدبية، تطورا كبيرا في حقل اللسانيات النصية ،وقد حاول المتخصصون دراستها وفق مناهج، وطرائق شتى، من أجل فهمها ،واكتشافها ،والوصول إلى جوهرها ،ولعل آخر ما وصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة ،هو بعث الدرس الحجاجي في ثوب جديد ، إذ لا نغفل أن الجذور الأولى لهذا الدرس كانت على أرض الإغريق وقد عرف محطات كبرى مع السفسطائيين سقراط ،وأفلاطون ،وأرسطو، ولا نغفل أيضا أن للعرب إرثا عن أصول الخطابة ومميزات الخطيب ،وما انتهوا إليه في علم الكلام والفلسفة وما توصلوا إليه في حقل دراستهم للخطاب القرآني من الوجهة البلاغية التأثيرية ، ومن هذه النقطة انطلق اللغويون المحدثون في تطوير الدرس الحجاجي واستمر هذا الدرس في التأسس والتشكل إلى يومنا هذا ،ومن بين المسائل التي تطرق إليها الدرس الحجاجي مسألة طاقة اللغة وقدرتها على المحاججة ،وذلك بأن يعمد المتكلم إلى أن يُحِل مفردة ينتقيها مكانا معينا من الملفوظ ،ليقود المتلقي عن طريق استعمال قانون الأنفع إلى غاية يريدها أو يقنعه بأمر ما ،فهل يصح أن يكون للمفردة قدرة على الإقناع بدلالتها المنتقاة التي تتشكل في أذهان المتلقين .؟

إذن فالمشكلة التي يطرحها هذا البحث هي هل للمفردة المنتقاة من طرف المرسِل على وجود التفاوت في التعبير بين المفردات إذا صحت مقولة الترادف قدرة على الإقناع بدلالتها التي تتشكل في أذهان المتلقين ؟، وسيتم تطبيق هذه النظرية على مدونة مأخوذة من البيان النبوي هو أفصح المدونات العربية لغة بعد لغة القرآن الكريم ؛إنها متن أحاديث الأربعين النووية ،وتتحدد ملامح هذه الإشكالية في الأسئلة التالية:

_ ما المقصود بقانون الأنفع ؟

_ وهل نجد في التراث العربي ملامح لهذا القانون ؟

ـ وما هي حدود وقوع الترادف في اللغة ؟

ـ وهل يعتبر اختيار المتكلم ألفاظه للتعبير عن أفكاره خاضعا لغايات حجاجية؟

ـ وهل يمكننا أن نعتبر أن الانتقاء قانون حجاجي ؟

ولاختيار هذا البحث دوافع كثيرة أهمها أن الخطاب النبوي غني جدا بالسمات التداولية التواصلية ؛فيه السرد والحوار والاستفهام والأمر والنهي والتقرير ...فهو خطاب غني بالمفردات الجامعة ،مما يتيح لي تطبيق هذه النظرية ،ومن دوافع اختياره أيضا ،جدة الموضوع ؛إذ لم أجد بحوثا مشابهة تفرده ببحث خاص إلا ما كان في ثنايا بعض البحوث التي تدرس آليات ووسائل الحجاج في الخطاب النبوي بصفة عامة .

وقدكان لزاما علي أن أعود إلى مصادر ومراجع مهمة كانت الأساس لهذا البحث أهمها كتب الدكتور عبد الله صولة رحمه الله ،خاصة كتابه الرائد "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" ، وكتابه "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات" ،وكذلك عدد من المعجمات العربية وعلى رأسها "لسان العرب" ،و"مقاييس اللغة "،و "القاموس المحيط" ،وكتاب |المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني" ،وكتاب "الفروق اللغوية للعسكري" ،و"متن أحاديث الأربعين النووية| باعتباره مدونة البحث .

وقدكانت دراستي لهذا الموضوع موزعة في فصلين ؛الأول نظري والثاني تطبيقي .

أما الفصل النظري "مفهوم قانون الأنفع في الحجاج" وقد تطرقت فيه إلى مفهوم الحجاج وعلاقته بالجدل والخطابة بغير إطناب ،وتطرقت لمفهوم البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتيكاه ،وطاقة اللغة الحجاجية عند ديكرو وأوسكمبر ، ثم تطرقت لمفهوم قانون الأنفع في ظل مقولة الترادف ،وتناولت مفهوم الترادف وتعرضت لفكرة تأكيد أو إنكار وقوع الترادف عند الدرسين القدامى والمحدثين على السواء ،وفي الجزء الثالث منه تطرقت لمفهوم قانون الأنفع ومفهوم المقتضى المعجمي .

أما الفصل الثاني "حركة الكلمة الحجاجية في متن أحاديث الأربعين النووية " فقد تناولت فيه مصادر البيان النبوي وخصائصه وتناولت المقصود من مفهوم حركة الكلمة الحجاجية ثم خصصت الجزء الأخير منه للدراسة التطبيقية حيث اخترت بعض المفردات من متن أحاديث الأربعين النووية وطبقت عليها قاعدة قانون الأنفع في ظل مقولة الترادف .

أما عن المنهج المتبع فقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي ،فالمنهج الوصفي مناسب لتتبع المفردات ومعانيها واستعمالاتها في المعجمات وكتب اللغة والفروق لإخضاع المدونة لمقولات النظرية المطبقة ،والمنهج التحليلي مناسب لتفصيل وشرح النتائج المتوصل إليها .

وعن العوائق التي واجهتني فأذكر منها أن بعض المعجمات وكتب الفروق اللغوية لم تكن دقيقة في بيان الفروق اللغوية بين المفردات .

وفي الختام أجدد شكري لأستاذي المشرف :الأستاذ الدكتور نصر الدين وهابي على اختياره لي هذا الموضوع الذي رأى فيه جانبا مفيدا وممتعا وطريفا ،مما حفزني وزادني تمسكا بفكرة إنجازه.

والحمد لله الذي وفقني لهذا .

الفصل الأول

مفهوم قانون الأنفع في الحجاج

أولا :مفهوم الحجاج

ثانيا :قانون الأنفع ومفهوم الترادف .

ثالثا :قانون الأنفع ومفهوم المقتضى المعجمي .

الفصل الأول : مفهوم قانون الأنفع في الحجاج :

أولا : مفهوم الحجاج :

1 . الحجاج لغة :

الحجاج في اللغة من حاج، قال ابن منظور (714هـ):«حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجَاجا ومحَاجَّة حتى حججته أي غلبته بالحُجَجِ التي أدليت بها ...والحُجَّةُ :البُرْهَان، وحَاجَّه محَاجَّة وحِجَاجًا نازعه الحُجَّــة »[1] .

وورد في مختار الصحاح أن: «حَاجَّه فحَجَّه من باب ردَّ أي غلبه بالحُجَّة ، وفي المثل: لجَّ فحجَّ فهو رجل مِحجَاج أي جدِل، و التحاجُّ التخاصم، والمحَجَةُ جادة الطريق»[2] .

وعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج مرادفا للجدل إذا حُد الجدل حسب ابن منظور[3]؛ فالجدل حسب ابن منظور: «اللدد في الخصومة والقدرة عليها ...ورجل جَدِل ومجْدَل ومجدال: شديد الجدل، ويقال جَادَلْتُ الرجل فَجَدَلْتُه جدْلا أي غَلَبْتُه، ورجل جَدِلٌ إذا كان أقوى في الخصام ...والجَدَلُ مقابلة الحُجَّة بالحُجَّة ،والمجَادَلَةُ المناظرة والمخاصمة »[4].

ومما سبق نجد أن ابن منظور والرازي يجعلان الحجاج مرادفا للجدل صراحة .

وأما الزمخشري (538هـ) فقد حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظفر وإفحام الخصم بما يملكه من الدلائل فقد جاء في أساس البلاغة: « احتج على خصمه بحُجَّة شهباء ، وبحجج شهب وحاجَّ خصمه فحجَّه وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة »[5] .

---

[1] جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ،دار المعارف ،القاهرة ،ج2 ،ص: 779(حجج) .

[2] محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ،تح: عصام فارس الحرستاني ،دار عمار ،عَمان ،ط9 ،2005 ،ص: 69 (حجج) .

[3] عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1،2001 ص:10 .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ،ج1 ،ص:571 (جدل).

[5] جار الله الزمخشري ،أساس البلاغة ،تح :محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1،1998 ،ج1، ص:169(حجج).

ومما سبق، ومن خلال النظرة السريعة لمادة (ح ج ج) يمكن القول أن هذه المادة الثلاثية تتفرع منها معاني ثلاثة ؛فالأول :المحاج وهو صاحب الغلبة بالدلائل والبراهين وهو الغالب، والثاني المحجوج وهو المغلوب المفحم ، والمعنى الثالث :هو الحُجَجُ وهي التي يتبادلها المتخاصمان بالرأي .

2 . الحجاج اصطلاحا :

ولمعرفة المدلول الاصطلاحي للحجاج نستأنس بالتقسيم الذي انتهجه الدكتور عبد الله صولة في دراسته لمفهوم الحجاج ؛فمفهوم الحجاج يدور في فلك ثلاثة تعريفات :

مفهوم يجعله مرادفا للجدل ...ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة ...ومفهوم ثالث يدرس الحجاج ومتعلقاته بما هو مبحث لغوي مستقل بذاته[1].

أ . الحجاج بما هو مرادف للجدل :

ورد تعريف الحجاج بمعنى الجدل عند القدماء وبعض المحدثين العرب، وفيه يقول ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير": «ومنه سمي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل »[2]،وقال معرفا المجادلة :«والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك »[3].

وفي اصطلاح القدماء يكثر ورود الحجاج والجدل مترادفين ،وخاصة في كتب علوم القرآن ومنها كتاب : "البرهان في علوم القرآن للزركشي" (794هـ)[4] ،وكذلك كتاب : "الإتقان في علوم القرآن للسيوطي " (911هـ) [5]؛فكل منهما حينما تعرض لجدل القرآن في كتابه كان يقيم الحجاج مقام الجدل والجدل مقام الحجاج ،وقد وسم الزركشي الفصل الذي عقده لهذا العلم ب: فصل في معرفة جدله[6] .

---

[1] ينظر: عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص: 8.

[2] الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ،الدار الجماهرية للنشر والتوزيع ،ج3 ،ص:194.

[3] السابق ،ج3 ،ص:194.

[4] بدر الدين الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار التراث ، القاهرة ،ج2 ،ص:24 .

[5] جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،تح :مركز الدراسات القرآنية ،المدينة المنورة ،2007 ،ج4 ،ص:1954 .

[6] ينظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج2 ،ص:24.

وسمى السيوطي الفصل "في جدل القرآن"[1]، وتناولا ألفاظ الحجاج (الحجاج والاحتجاج والمحاجة، والحجة) على أنها ألفاظ مرادفة للجدل .

وإن كانت نظرة العرب القدامى إلى الجدل على أنه مرادف الحجاج ؛فإن هذه النظرة قد بقيت حتى عصرنا هذا، فنجد أن بعض الدارسين المحدثين قد زاوجوا بين المصطلحين كما هو الشأن في كتاب "مواقف الحجاج والجدال في القرآن الكريم" للهادي حمو[2]، ويعرف طه عبد الرحمان الحجاج بقوله : «حَدُ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية »[3] ،كما يعرف محمد التومي الجدل بأنه : «عبارة عن قدرة كلامية وبراعة حجاجية »[4].

فقد احتفظ طه عبد الرحمان في تعريفه للحجاج بالجانب الجدلي فيه، والجدل في تعريف محمد التومي قدرة يستخدمها المتكلم في إقناع المتلقي، وبذلك يكون الجدل هنا بمعنى الحجاج .

يرى عبد الله صولة أن اعتبار القدامى وبعض المحدثين أن الحجاج هو الجدل من شأنه تضييق مجال الحجاج، وإغراقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية، ويؤكد على أن الحجاج أوسع مجالا من الجدل إذ أن كل جدل حجاج وليس كل حجاج جدل[5].

ب . الحجاج بين الجدل والخطابة :

يعتبر أرسطو الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج وبهذا التموقع للحجاج بين الجدل والخطابة يبين عبد الله صولة أنه يوجد حجاجان على الأقل ؛جدلي وخطابي[6].

أما الحجاج الجدلي فمرتكزاته عقلية خالصة ، فلا يخاطب المحتج لقضية أو موقف أو رأي في متلقيه سوى العقل في حين تكون مرتكزات الحجاج الخطابي عاطفية بالأساس، فهو ضرب من التأثير العاطفي. أو بعبارة أخرى إن الحجاج الجدلي ذو مجال فكري خالص، فهو عادة ما يكون بين

[1] ينظر: السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،ج4 ،ص:1954.

[2] ينظر: عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص:15.

[3] طه عبد الرحمن ،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركـز الثقافي العربي ،ط2 ،2000 ،ص:65.

[4] محمد التومي ،الجدل في القرآن الكريم ،فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ،شركة الشهاب ،الجزائر ،ص:14.

[5] عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص:15 ،17 .

[6] ينظر: السابق ،ص:17.

شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة .أما الحجاج الخطابي فمجاله توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنع الاعتقاد فهو حجاج موجه كما قلنا للجماهير[1].

ج . الحجاج باعتباره مبحثا لغويا مستقلا بذاته :

إن ما وصلت إليه الدراسات اللغوية الغربية الحديثة في مجال الحجاج جعلت منه مبحثا لغويا مستقلا قائما بذاته ،ويعود الفضل في ذلك إلى عدد من الباحثين الغربيين الذين سعوا إلى تحقيق استقلاليته، ومنهم أساسا :تولين، بيرلمان وتيتيكاه، أسكمبر وديكرو، وماييير.

فالحجاج نظرية غربية حديثة تم تناولها من جانبين ؛الأول تداولي ويتجلى من خلال أعمال ديكرو ،والثاني بلاغي وقد ظهر في أعمال بيرلمان ،فقد وضع هذان العالمان أساس النظرية الحجاجية رغم اختلاف توجههما ،علما أن البحث الحجاجي له جذوره القديمة التي تمتد إلى اليونان وبالتحديد إلى أرسطو الذي أرسى معالم الدرس الحجاجي، ولذلك استفاد الدرس الحجاجي الحديث من التراث اليوناني القديم ،فحاول بعثه من جديد وفي ثوب جديد ألا وهو النظرية الحجاجية[2] .

1– الخطابة الجديدة أو البلاغة الجديدة عند" بيرلمان وتيتيكاه ":

اشتهر بيرلمان وتيتيكاه بكتابهما :"مصنف في الحجاج"، أو الخطابة الجديدة وهو نظرية حجاجية معاصرة لها أسس ومبادئ تقوم عليها وقد خلَّص الباحثان في هذا المصنف الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقربين إياه من مجالات استخدام اللغة مثل مجال العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون[3]،ويعرفان الحجاج بقولهما :«موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم » .وفي موضع آخر من الكتاب نفسه يحـــــــــدثنا المؤلفان عن الغاية من كل حجاج

[1] ينظر:سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ،عالم الكتب الحديث ،جدارا للكتاب العالمي ،الأردن ،ط1 ،2008 ،ص:18 .

[2] ينظر:نور الدين بو زناشة ،الحجاج في الدرس اللغوي الغربي ،مجلة علوم إنسانية ،السنة السابعة ،العدد 44 ،2010 ،ص:12.

[3] ابتسام بن خراف ،الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ،دراسة تداولية ،أطروحة دكتوراه ،جامعة الحاج لخضر، باتنة ،2009،2010 ،ص:72.

بقولهما: «غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان ؛فأنجع الحجاج ما وُفِق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه ،أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة »[1].

يفهم من نظرية البلاغة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه أن الغاية من كل حجاج هي تحقيق الاقتناع لدى السامع بعد تلفظ المتكلم ،أو العمل على زيادة حدة الاقتناع والإذعان .

ونرى أن هذا المذهب مطابق للبلاغة العربية ،وأن لهذه النظرية جذورا في التراث العربي ؛فقد سبق ابن الأثير (630هـ)في كتابه:"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" إلى عقد باب بعنوان "في الاستدراج" ويعرف الاستدراج بقوله :« وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض هاهنا ذكر بلاغته فقط ،بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم .وإذا حُقّق النظر فيه عُلِم أن مدار البلاغة كلها عليه ؛لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها »[2].

ثانيا :الطاقة الحجاجية للغة :"أوسكمبر وديكرو":

يكشف عنوان كتابهما "الحجاج في اللغة" على أنهما تناولا الحجاج بمفهوم مغاير عنه عند بيرلمان ،فالحجاج حسبهما يقوم على اللغة بالأساس،بل يكمن فيها[3].

وتمثل أعمالهما تيارا تداوليا متميزا ،ويكمن وجه تميزه في رفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة ؛وموضوعها معنى الجملة والتداولية وموضوعها ؛استعمال الجملة في المقام من جهة والسعـــي

[1] عبد الله صولة ،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال :مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه ،ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،بإشراف :حمادي صمود ،منوبة ، تونس ،1998، ص:299 .

[2] ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،تح: أحمد الحوفي ،وبدوي طبانة ،دار نهضة مصر ،القاهرة ،ط2،ج2 ،ص:250.

[3] ينظر: سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص:22.

إلى سبر كل ماله صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى ؛فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ،ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن[1] ؛فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما ،وهذا التوجيه هو الذي يشرع للبحث في الترابطات الحجاجية الممكنة بما أن مسوغاتها موجودة في البنية اللغوية للأقوال وليست رهينة المحتوى الخبري للقول ولا رهينة أي أبنية استدلالية صناعية من خارج نظام اللغة[2] .

فالحجة عنصر دلالي متضمن في القول يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر ،والذي يصيرها حجة أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق ؛فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر حتى لو تعلق الأمر بنفس المحتوى القضوي أو بنفس الحدث المعبر عنه داخل القول.وقد تتحقق الحجة على شكل لفظة أو قول أو خطاب برمته[3].

ومن المهم هنا الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية ديكرو وأسكمبر الحجاجية وهو مفهوم التداولية المدمجة .

التداولـية المدمجة :

يرى ديكرو وأسكمبر أن في جل الأقوال بعض السمات التي تحدد قيمتها التداولية باستقلال عن محتواها الخبري لذلك يجب أن يدرج المظهر التداولي في الدلالة ؛فالتداولية المدمجة في الدلالة هي بحث في الجوانب التداولية المسجلة في بنية اللغة ودلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية (لا القيمة الوصفية التمثيلية ؛أي ما يعبر عن حالة الأشياء في الكون) لظبط شـــــروط استعمالها [4].

[1] شكري المبخوت ،نظرية الحجاج في اللغة ؛ضمن كتاب:أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص:351.

[2] السابق ،ص:352.

[3] أبوبكر العزاوي ،اللغة والحجاج ،العمدة في الطبع ،الدار البيضاء ،ط1 ،2006 ،ص:127.

[4] شكري المبخوت ،نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب:أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص:354.

ثانيا : قانون الأنفع ومفهوم الترادف :

1 . قانون الأنفع :

أ . مفهومه عند القدامى :

قانون الأنفع يقابله عند عند البلاغين العرب فن التنكيت وهو عند ابن أبي الإصبع المصري(654هـ)في مؤلفه " بديع القرآن" ،وقد حده بقوله :« هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه »[1]والتنكيت عند أسامة بن منقذ (580هـ) :« هو أن تقصد شيئا دون أشياء لمعنى من المعاني ولولا ذلك لكان خطأ من الكلام وفسادا في النقد »[2] وذكره السيوطي(910هـ)في معترك الأقران[3].

ونسوق أمثلة عن أسلوب التنكيت في القرآن الكريم قوله تعالى : **﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾**[4]وذلك لأن اليمين أقوى اليدين واختص سبحانه وتعالى الوتين بالذكر دون غيره لأنه إذا انقطع مات الإنسان[5] ،ومن التنكيت في الشعر ،سئل الأصمعي عن

قول الخنساء :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ[6].

---

[1] ابن أبي الإصبع المصري ،بديع القرآن ،تح: حفني محمد شرف ،دار نهضة مصر ،ج2 ،ص:212.

[2] أسامة بن منقذ ،البديع في نقد الشعر ،تح: أحمد أحمد بدوي ،حامد عبد المجيد ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ،1960 ص:56.

[3] السيوطي ،معترك الأقران في إعجاز القران ،تح:أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1،1988،ج1،ص:300.

[4] الحاقة 46/45

[5] أسامة بن منقذ ،البديع في نقد الشعر ،ص:57.

[6] .الخنساء ،ديوان الخنساء ،تح: حمدو طماس ،دار المعرفة ،بيروت ،ط2 ،2004،ص:72.

لم خَصَّتْ طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار ؟ فقال: لأن وقت الطلوع وقت الركوب إلى الغارات ،ووقت الغروب وقت قرى الضيفان ؛فذكرته في هذين الوقتين مدحا له بأنه كان يغير على الأعداء ويقري أضيافه[1].

ونجده عند الزركشي(794هـ) باسم آخر وهو مشاكلة اللفظ للمعنى ويعرفه بقوله :هو عدولك عن ذكر لفظ وذكرك لغيره لمعنى لطيف يطلبه المقام[2]،ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾[3]،فالمقام مقام تصغير أمر المسيح في أعين من ادعى له الإلهية[4].وإنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفهما[5].

ويفهم من الأمثلة السابقة أن هذا الفن البلاغي(التنكيت) يهدف بأسلوبه إلى التأثير في المتلقي فهو أسلوب من أساليب الجمال الفني ؛وغايته التنويه بالقيمة الجمالية البلاغية للخطاب من حسن انتقاء وتصوير وتأثير في النفس .

ب . مفهومه عند المحدثين :

يقول الدكتور عبد الله صولة :« هذا المصطلح من وضعنا وضعناه أسوة بديكرو في حديثه عن قانون النفع أو الجدوى بتطبيقه يفهم ما يقال لنا ،ونحسب دلالة هذا الذي يقال لنا في ضوء المقام أو الوضعية منطلقين من دلالته في مستوى المكون اللساني فقانون النافع يترجمه متأول الملفوظ إلى سؤال من قبيل: لماذا قال المتكلم ما قال ؟ »[6].

---

[1] أسامة بن منقذ ،البديع في نقد الشعر ،ص:57.

[2] .ينظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ،ص:378.

[3] آل عمران 59

[4] عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ،مسكيلياني للنشر ،تونس ،ط1 ،2011 ،ص:88.

[5] الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،ج3 ،ص:378.

[6] . عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ،ص:78 .

ويعتبر الدكتور عبد الله صولة أن قانون الأنفع قانون خاص بالخطاب الحجاجي في البلاغة الجديدة ،ونظريات الحجاج التقني عند ديكرو وأسكمبر ،وكل على طريقته يعتبر أن بين وحدات اللغة تفاوتا في درجة التعبير حجاجيا عن فكرة ما. بحيث يعتمد التعبير بالعنصر (أ) دون العنصر (ب) تطبيقا لقانون الأنفع حجاجيا ،فالسؤال الذي يطرح هنا عند سماعنا خطابا ما هو: لماذا ترك المتكلم العنصر (ب)وعبر بدلا منه بالعنصر (أ) وما وجه النفع في ذلك ؟ ؛أي فيم كان (أ) أنفع وأجدى من (ب)[1]، فقولنا عن زيد إن له استعدادا لإيقاع الناس في الخطإ عوض إنه كاذب قد يكون المقصود منه إفراغ صفة كاذب من شحنتها السلبيية وجعل اللفظ المطلق على زيد له طابع الحكم الموضوعي غير المنزل إياه في منزلة المتهم ومن هنا تنشأ الدلالة الحجاجية التي لجملة "له استعدادا لإيقاع الناس في الخطإ" وهي دلالة ليست للفظة "كاذب "[2].

ونجد عند الأسلوبيين مصطلح الاختيار، بحيث يعمد الكاتب إلى اللغة بوصفها خزانا جماعيا رحبا ،منه ينتقي المفردات ،يتخيرها كي يصب فيها ما تجيش به نفسه من مشاعر و أحاسيس و انطباعات وهنا يبدأ بحث النقاد الأسلوبيين من حيث العمل على كشف العلل و الأسباب الكامنة وراء هذا الاختيار أو ذاك مادام مبدأ "الاختيار" أو "الانتقاء" يمثل خاصية من خصائص البحث الأسلوبي ،و إذا كانت اللغة تحوي مفردات متعددة تتركب منها أعداد لا تحصى من العبارات و الجمل ،فان القضية المثارة هي البحث عن الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدل جملة أخرى و تفضيل تركيب على تركيب سواه[3].

[1] عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ،ص: 79 .

[2] عبد الله صولة ،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال :مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه ،ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص:320.

[3] ينظر: رجاء عيد ،البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ،الإسكندرية ،دار المعارف ،ط1 ،1993 ،ص:120 .

ويرى بيرلمان أن اختيار المتكلم للألفاظ قلما يكون اختيارا لا تتحكم فيه غايات حجاجية خصوصا حين يكون اللفظ (أ) الذي اختاره المتكلم لفظا فيه عدول عن الكلام العادي ،فبهذا اللفظ الذي فيه العدول يقع التنبيه إلى مقصد المتكلم الحجاجي[1].

2 . الترادُف :

أ . مفهومه لغة:

الترادُف من الفعل رَدِفَ و :« والرِدْفُ ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئا ،فهو رِدْفُه ،وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التَّرادُف ...وتَرَادَفَ الشيء تبع بعضه بعضا ،والتَرَادُفُ التتابع ...وأَرْدَفَ الشيء بالشيء وأَرْدَفَهُ عليه أتبعه عليه »[2].وفي القرآن الكريم: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[3]؛أي متتابعين بعضهم على أثر بعض[4]،وقال تعالى : ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[5] قال ابن عباس(64هـ) : « قَرُبَ »[6] وفي النازعات :﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾[7] قال ابن عباس : « هما النفختان الأولى والثانية »[8].

---

[1] عبد الله صولة ،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال :مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه ،ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص:320.

[2] ابن منظور ،لسان العرب ،ج3 ،ص:1625 ،(ردف).

[3] الأنفال 9.

[4] عماد الدين بن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،تح:سامي بن محمد سلامة ،دار طيبة ،الرياض ،ط1 ،1997،ج4 ،ص:20.

[5] النمل 72.

[6] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج6 ،ص:209.

[7] النازعات 6، 7.

[8] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج8 ،ص:313.

فالرديف ليس الراكب الأصلي ،والعذاب الذي رَدِفَ ؛أي اقترب بعض من العذاب الكلي بعد الموت ،والرجفة الثانية حتما ليست الأولى ،وكون الملائكة مردفين ؛أي هناك تتابع ويكون بعضهم قبل بعض ،وإذا تميزت الرادفة بالحوادث نفسها ،فهناك على الأقل فارق زمني بين الرجفتين يميز الثانية من الأولى لذلك نستشف في الأصل اللغوي أن المعجم يصرح بكون الترادف لاحقا وليس هو الشيء نفسه[1].

ومنه نصل إلى أن الترادف في اللغة ليس هو التطابق التام بين الأشياء .

ب . مفهومه اصطلاحا :

اختار السيوطي(911هـ) ما ذكره فخر الدين الرازي(606هـ)في تعريف الترادف : « فالترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد »[2]،ولعل أول من أشار إلى الترادف من علماء العرب الأوائل "سيبويه"(180هـ) وذلك في حديثه عن بعض سنن العرب في كلامها[3].حيث ذكر من بين أقسام علاقات الألفاظ بالمعاني:« ...اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو :ذهب وانطلق»[4] ،وأما حديثا فهو:« تعدد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد باعتبار واحد ،أو هو اتفاق الكلمات في المعنى واختلافها في اللفظ»[5]،ويعرفه ستيفن ألمان بقوله: «والمترادفات هي ألفاظ متعددة متعددة لمعنى واحد وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق »[6]،ويحده إبراهيم أنيس بقوله :«الترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر في

[1] أحمد ياسوف ،جماليات المفردة القرآنية ،دار المكتبي ،دمشق ،ط2 ،1999 ،ص:8

[2] السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،تح: محمد أحمد جاد المولى بك ،محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ،دار التراث ،القاهرة ط3،ج1 ،ص:403.

[3] ينظر: محمد نور الدين المنجد ،الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ،دار الفكر دمشق ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،ط1 ،199 ص:30

[4] ينظر: سيبويه ،الكتاب تح: عبد السلام هارون ،عالم الكتب ،بيروت ،1977 ،ج1 ،ص:24.

[5] أحمد محمد قدور ،مبادئ في اللسانيات ،دار الفكر ،بيروت ،ط1 ،1996 ،ص:310.

[6] ستيفن أولمان ،دور الكلمة في اللغة ،تر: كمال بشر ،مكتبة الشباب ،القاهرة ،ط3 ،1978 ،ص:109.

معنى واحد يختار هذه حينا ،ويختار تلك حينا في كلتا الحالين لا يكاد يشعر بالفرق بينهما بمقدار ما يسمح به مجال القول »[1] .

ومن خلال هذه التعريفات نخلص إلى ثلاث نقاط رئيسية وهي : تعدد الألفاظ وثبات المعنى والربط بين الترادف والسياق ؛فالترادف مشروط بإمكانية التبادل بين الألفاظ المترادفة في أي سياق.

ج . الترادف بين الإثبات والإنكار :

من المشهور أن وقوع الترادف في اللغة لم يكن محل اتفاق بين اللغويين القدامى ،والمحدثين على حد سواء ،فقد انقسموا في ذلك إلى مثبتين لوقوعه ومنكرين وسنتطرق أولا لآراء المثبتين وننتقل بعدئذ إلى بعض آراء مؤيدي الفروق الدلالية ممن أنكروا الترادف .

1 . تأكيد الترادف في اللغة :

اصطلح فقهاء اللغة على أن الترادف يعني تعدد الأسماء للمسمى الواحد ،بوقوع الألفاظ على المعنى الواحد ونتيجة لهذا التطابق التام بين المترادفات ، يصح في نظر مؤيدي تبادل المترادفات فيما بينها في أي سياق ؛وحجتهم في هذا هي تعايش اللغات بعد ظهور وضعين اثنين للمعنى الواحد[2]،وقد ذكر السيوطي(911هـ) أن من أسباب وقوع الترادف: «أن يكون من واضعين ،وهو الأكثر ؛بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ،من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان ،أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر ؛وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية»[3].

ومن المثبتين لوقوع الترادف في اللغة نجد قطربا (206هـ) ؛حيث اعتبر الترادف ميزة دالة على اتساع لغة العرب وثرائها ؛حيث يقول :«إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ؛ليدلوا على

[1] إبراهيم أنيس ،في اللهجات العربية ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،2003 ،ص:155.

[2] أحمد ياسوف ،جماليات المفردة القرآنية ،ص:60.

[3] السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،ج1 ،ص:405 _406

اتساعهم في الكلام ،كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم ،وإن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب»[1]،ويؤيد ما ذهب إلية قطرب رأي ابن جني (392هـ) ونجد في رأيه اعترافا بوجود الترادف في اللغة ويراه دليلا قويا على شرف العربية وعلو شأنها وقد تحدث عن ظاهرة الترادف في كتابه" الخصائص" تحت عنوان : "باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني "إذ قال فيه : « هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة ،قوي الدلالة على شرف هذه اللغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ،فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه »[2]ويذكر السيوطي في كتابه "المزهر" أن مجد الدين الفيروز آبادي (817هـ) قد ألف كتابين في المترادف سمى الأول :"الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف " وسمى كتابـــه الثاني :"ترقيق الأسل لتصفيق العسل" ،ولكن لم يصل إلينا أي من الكتابين[3].

وذكر ابن خالويه (370هـ) أنه يحفظ للسيف خمسين اسما ،وهذا تأكيد لوجود الترادف لكن أبا علي الفارسي (377هـ) قد ردَّ عليه بأَنه لا يحفظ للسيف إلا اسما واحدا وهو السيف ،وأما الصارم والمهند وكذا وكذا...فهي صفات ،إلا أن السيوطي يقرر أن هناك أسماء للذات كالسيف وأسماء للصفات كالمهند أو الخمر[4].

وألف الرماني (377هـ) بحثا في المترادفات وسمه "بالألفاظ المترادفة و المتقاربة المعنى"، وهو بحث وجيز ،وهو أول بحث يحمل هذا العنوان _ يصرح بلفظ الترادف_، والرماني في كتابه هذا يضع كلمة بمنزلة عنوان ويكون شرحها مجموعة من المترادفات[5].ويقول الرماني في مؤلفه هذا عن العهد : « العهد والميثاق والإل والذمة والعَقْد والأمان والجزية والحِلْف والإصر »[6] .

---

[1] أبو الحسن الرماني ،الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى ،تح: فتح الله صالح علي المصري ،دار الوفاء ،المنصورة ،ط1 ،1987،ص:11.

[2] ابن جني ، الخصائص ،تح: محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،ج2 ،1952 ،ص: 113.

[3] ينظر: السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،ج2 ،ص:407.

[4] ينظر: السابق ،ج2 ،ص:405.

[5] ينظر: أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية ،ص:61.

[6] الرماني ،الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى ،ص:73.

ومن المحدثين المثبتين لمقولة الترادف الدكتور إبراهيم أنيس والذي نعده من المضيقين لوقوع الترادف ؛ذلك أنه يقيد وقوعه بشروط ويقول :«الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة وإنما يكمن أن يُلتمس في اللغة النموذجية الأدبية ،ففي القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة والذي نطق به الرسول للمرة الأولى نرى الترادف في بعض ألفاظه »[1].

بينما يرى الدكتور صبحي صالح أن الترادف في اللغة العربية واقع ومن الخطورة القول بنفي الترادف فيها « ولكن بعض العلماء القدامى ينكرون وقوع الترادف في العربية وفي إنكارهم معنى أخطر كثيرا مما يتصوره أي باحث من المحدثين ،فلا سبيل معه إلى القول بانفراد العربية بكثرة المفردات وسعة التعبير»[2] وفي موضع آخر في نفس الكتاب يقول الدكتور لم نجد مناصا من التسليم بوجود الترادف ولا مفر من الاعتراف بالفروق بين المترادفات ،لكن هذه الفروق _على ما يبدو لنا_ تُنُوسِيَت فيما بعد وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعتبرها ملكا لها ودليلا عـــلى ثرائهـــــا ،وكثرة مترادفاتها[3].

2. تأكيد الفروق ونفي الترادف :

يذهب فريق من مشاهير علماء اللغة العربية وفقهائها قديما وحديثا إلى إنكار وقوع الترادف التام بين مفردات اللغة وعلى رأس هؤلاء المنكرين ابن الأعرابي(231هـ) ويذهب إلى أن «الأسماء كلها لِعلة ؛خصَّت العرب ما خصت منها من العلل ما نعلمه ،ومنها ما نجهله ...وكل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل منهما معنى ليس في صاحبه ،ربما عرفناه فأخبرنا به ،وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله »[4].

[1] إبراهيم أنيس ،في اللهجات العربية ،ص:155_156.

[2] صبحي صالح ،دراسات في فقه اللغة ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط6 ،2009 ،ص:295.

[3] ينظر: السابق ،ص:300.

[4] محمد بن القاسم بن الأنباري ،الأضداد ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ،بيروت ،1987 ،ص:7.

يرى ابن الأعرابي أنه عند النظر في أصل الوضع نجد أن هناك فروقا في المعاني بين لفظة وأخرى يظن الجاهل بهما أنهما مترادفتان ،وقد وافقه في ما ذهب إليه كثيرون منهم ابن فارس (395هـ) إذ قال: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام والذي نقوله في هـــــذا :إن الاسم الواحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات ،ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى »[1] .

فابن فارس يقصد أن الأصل اسم واحد وما يليه صفات ؛فالأصل السيف والمهند صفة له وهي نسبة لمكان صناعته ،والحسام صفة لكونه يحسم الأمور ،وهذه المعاني ليست متطابقة تمام التطابق فليس شرطا أن يكون السيف مصنوعا بالهند .

ويقول أيضا: «وإما قولهم إن المعنيين لو اختلفا لجاز أن يعبر عن الشيء بالشيء ،فإنا نقول :إنما عبر عنه من طريق المشاكلة ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ما قالوه وإنما نقول :إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى »[2].

ونقل ابن فارس مذهب شيخه أبي العباس ثعلب (291هـ) في إنكار وقوع الترادف محتجا بالفروق الدقيقة بين اللفظين الذين يظن ترادفهما ففي قعد معنى ليس في جلس وكذلك رقد ونام وهجع و...وبهذا نقول وهذا مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب(291هـ)[3].

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة العربية ،ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،تح: أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 ،1997 ص:59 .

[2] السابق ،ص:60.

[3] السابق ،ص:59.

وقد نقل أبو هلال العسكري(395هـ) في كتابه "الفروق اللغوية" رأي المبرد (285هـ) فالمبرد يرى أن جواز العطف يعني تفرد كل اسم بمعنى خاص به ،ففي قوله تعالى :﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾[1] ،قال المبرد :«عطف منهاجا على شرعة لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه ...ويعطف الشيء على الشيء ،وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر ،فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ؛ لا تقول :جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبو عبد الله »[2].

والعسكري يؤيد المبرد في رأيه ،وأنكر الترادف قولا وعملا بأنه ألف كتابه "الفروق اللغوية" ؛بين فيه الفروق الدقيقة _كما زعم _ بين الكلمات المتقاربة المعنى ،وصرح في مقدمته أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني ؛ذلك أن كل كلمة تشير إلى محدد والإشارة إلى الشيء مرتين تكرار لا فائدة فيه ،وليس من الذكاء أن يضع الواضع اللغة ويعطف الثاني على الأول إذا كانا شيئا واحدا[3]. وميزة كتاب العسكري أن جعل كل الكتاب للفروق ،وقد قدم فيه مادة وفيرة ،ومنهجا واضحا مقتصرا على المشهور من كلام العرب ،مستشهدا فيه بالقرآن الكريم والشعر وأمثال العرب وهو لا يترك القارئ من غير اقتناع[4].

ومن ذلك قوله في الفرق بين الصدق والحق ؛أن الحق أعم لأنه وقوع الشيء في موقعه الذي هو أولى به ، والصدق الإخبار عن الشيء على ما هو به ،والحق يكون إخبارا وغير إخبار»[5].

أما من المحدثين المنكرين لمقولة الترادف نجد بنت الشاطئ وهي من أكثر الباحثين تمسكا بإنكار وقوع الترادف في اللغة وفي القرآن الكريم إذ تقول :« والأمر كذلك في ألفاظ القرآن الكريم ما من

---

[1] المائدة ، 48.

[2] أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،تح: محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة ،ص:22.

[3] ينظر: السابق ،ص: 22.

[4] ينظر: أحمد ياسوف ،جماليات المفردة القرآنية ،ص:69.

[5] أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:48.

لفظ فيه يمكن أن يقوم غيره مقامه وذلك ما أدركه العرب الخلص الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن ...ولا يشغلنا تعدد الألفاظ للمعنى الواحد ،إذا كان عن اختلاف لغات القبائل العربية وذلك ما لا خلاف فيه فيما أعلم ،وإنما يشغلنا الترادف حين يقال بتعدد الألفاظ للمعنى الواحد ،دون أن يرجع هذا الترادف إلى تعدد اللغات ،ودون أن يكون بين الألفاظ المقول بترادفها قرابة صوتية »[1].

فهي تنفي وقوع الترادف في لغة القبيلة الواحدة ،وأن ما جاء من الترادف محمول على كونه من لغة قبيلتين ،وتنفي وقوع الترادف في لغة القرآن الكريم فما من لفظ فيه يمكن أن يقوم غيره مقامه .

ونجد من المعاصرين نور الهدى لوشن ترفض القول بوقوع الترادف التام في اللغة إذ تقـول صراحــة :« إلا أن الترادف الحقيقي في اللغة نادر جدا »[2].

فهي ترى بأن لا وجود لكلمتين في اللغة لهما المعنى نفسه وإن حدث فنادر جدا .

ثالثا : قانون الأنفع ومفهوم المقتضى:

إن انتقاء اللفظ لذو قيمة حجاجية ثابتة ؛بحيث يبدو القول بالترادف في اللغة قولا لا يخلو من شطط .صحيح أن بعض الدارسين وبعض الاتجاهات في دراسة الشعر ترى أن اختيار اللفظة دون مرادفها قد يكون على أساس شكلي فهو لغاية إحداث التنغيم أو الإيقاع بحيث تبدو قيمة اللفظ قيمة شكلية محضة ،لكن الخطاب الحجاجي لما كان مرتبطا دائما بالمقام الذي يقال فيه ؛إنما يعمد إلى استخدام هذه الكلمة دون مرادفها في اللغة لكونها أنسب منه في ذلك المقام[3].

مفهـــوم المقتضى المعجمي:

يعرف المقتضى المعجمي بأنه ما ينشأ عن معنى الوحدات المعجمية ،ويرى الباحثون أن المقتضى المعجمي مأتاه معنى الكلمة المعجمي من :(الأسماء ، الصفات ، والأفعال) وهي وحدات معجمية

[1] عائشة عبد الرحمان ،الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ،دار المعارف ،القاهرة ،1971 ،ص:194.

[2] نور الهدى لوشن ،علم الدلالة دراسة وتطبيق ،المكتب الجامعي الحديث ،القاهرة ،2006 ص:106.

[3] عبد الله صولة ،الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج ،ص:319 _320.

صرفية إعرابية معا تحمل في ذاتها مقتضى وهي مسؤولة عن ظهور المقتضى في سياق الخطاب على أساس معناها المعجمي وهي ذات بعد حجاجي ،ويشكل محتواه ملفوظا ضمنيا يقبع تحته المحتوى الملفوظ المنطوق ،وهو يسم الملفوظ الذي يحمله بميسم دلالي وحجاجي خاص (وقع الكلمة المعنوي) كما يسميه ديكرو .

وليست معاني الكلمات كلها ذات مقتضى معجمي ،فأسماء الأعلام وبعض من أسماء الجنس مثل :(رجل ،شجرة ،كلب ،جبل) ليس لها مقتضى معجمي .

وقد قدم "زوبير" مثالا عن ظهور المقتضى انطلاقا من المعنى المعجمي للكلمة في الجملتين :

1_ رفض فلان أن يأتي .

2_ وافق فلان أن يأتي .

يرى عبد الله صولة أن منشأ المقتضى في الفعلين "رفض" و"وافق " هو معناهما المعجمي ،إذ يقتضي رفض فلان شيئا ما أنه طلب إليه ذلك الشيء ،ويقتضي وافق فلان على شيء ما أن شيئا ما عرض عليه وطلب إليه وهو ناجم عن المعنى المعجمي[1] .

[1] ينظر: عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص:88 _90.

الفصل الثاني

حركة الكلمة الحجاجية في متن أحاديث الأربعين النووية

أولا: البيان النبوي مصادره وخصائصه.

ثانيا: حركة الكلمة الحجاجية

ثالثا: حجاجية المفردة في الحديث النبوي

الفصل الثاني : حركة الكلمة الحجاجية في متن أحاديث الأربعين النووية

أولا – البيان النبوي مصادره وخصائصه :

الحديث النبوي أرقى النصوص فصاحة ولا يرتفع فوقه إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة وما أجود ما وصف به الجاحظ (255هـ) كلام رسول الله ﷺ ،إذ قال في شأنه :«وهو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ،وجلَّ عن الصنعة ونزه عن التكلف ...وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ،وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ...لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ،ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب ...ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ...ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا ،ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ،ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ،ولا أفصح معنى ،ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ »[1].

1 . مصادره :

يرى مصطفى صادق الرافعي إمام مدرسة الكتابة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري أن فصاحته ﷺ توفيق من الله له وتوقيف إذ قال : «ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقا من الله وتوقيفا »[2].

ويذهب الرافعي إلى أن النشأة اللغوية التي خص بها رسول الله ﷺ هي من أسباب فصاحته وبلاغته : « فقد نشأ النبي ﷺ في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا ؛فكان مولده في بني هاشم ،وأخواله في بني زُهرة ،ورَضاعه في بني سعد بن بكر ،ومنشؤه في قريش ومتزوجه في بني أسد ، ومهاجرته إلى بني عمرو ؛وهم الأوس والخزرج من الأنصار لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة ؛ولقد

[1] عمرو بن بحر الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح:عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط7 ،1998 ،ج2 ،ص:18_19.

[2] مصطفى صادق الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط9 ،1983 ،ص283.

كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة، ولذا قال : «أَنَا أَفْصَحُ العَرَب بَيْدَ أَنِي مِنْ قُرَيْش ،وَنَشَأْتُ في بَنِي سَعْد بنُ بَكْر»[1].

وكذلك فإن الذي مكن لفصاحته ﷺ أن تنمو وتقوى ،ويشتد أسرها تأثره بأسلوب القرآن الكريم وذلك أمر طبيعي جلي ،فعلى قلبه المتصل بجلال الله تنزل القرآن ومن لسانه تلقاه المسلمون وبه حكم بين الناس ولهم شرحه وبينه وفصله ،وبتلاوته أُ مِر ،فكان يتلوه آناء الليل وأطراف النهار فقد تخرج ﷺ من مدرسة القرآن ولقد وصفته أم المؤمنين عائشة فقالت: «كان خلقه القرآن »[2].

2 . خصائصه :

يتميز الحديث النبوي بخصائص لغوية والتي يمكن حصرها حسب الرافعي في النقاط التالية :

أ – الخلوص :

وهو في لغة الحديث وفي أسلوبه من حيث الوصف والتركيب ،وهو منفرد فيهما جميعا ،ولم يكن في العرب ولن يكون أبدا من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعا وتركيبا ،ويستعبد اللفظ الحر ،ويحيط بالعتيق من الكلام ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه ﷺ[3].

فالخلوص إذا يكمن في الصناعة اللغوية والصناعة البيانية وفيهما يقول الرافعي :« رأيته في الأولى مسدد اللفظ ،محكم الوضع ،جِزل التركيب ،متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ،فخم الجملة ،واضح الصلة بين اللفظ ومعناه ،واللفظ وضريبه في التأليف والنسق ،ثم لا ترى فيه حرفا مضـــطربا ولا لفظة مستدعاة أو مستكرهة عليه ،ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى وتأتيا لسره في الاستعمال ورأيته في الثانية حسن المعرض ،بَيِّنَ الجملة ،واضح التفصيل ،ظاهر الحدود جيد الرصف ، متمكن المعنى ،واسع الحيلة في تصريفه ، بديع الإشارة ،غريب اللمحة ،ناصع البيان ثم لا ترى فيه إحالة ولا

[1] السابق ،ص:285.

[2] ينظر: محمد الصباغ ،الحديث النبوي _مصطلحه _بلاغته _كتبه ،المكتب الإسلامي ،(بيروت، دمشق) ،ط4 ،1981 ،ص:54.

[3] ينظر: مصطفى صادق الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص:338.

استكراها ،ولا ترى اضطرابا ولا خطلا ولا استعانة من عجز ولا توسعا من ضيق ،ولا ضعفا في وجه من الوجوه »[1].

ب – القصد والإيجاز والاقتصار:

وهو كما وصفه الجاحظ (255هـ) :« هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ،ونزه عن التكلف ،وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ،مع استغنائه عن إعادته »[2].

ج – الاستيفاء: فكلامه ﷺ مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيبا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى نفسه وطبيعته في النفس فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ تمثل المعنى وأتمه في نفسه في حسب ذلك التركيب ...وهذا بتأييد من الله وتمكين من اليقين والحجة فهو على حقيقته مما لا تعين عليه الدربة والمزاولة وقد قال ﷺ :« أُعطيتُ جوامع الكلم»[3].

ثانيا– حركة الكلمة الحجاجية :

المقصود بحركة الكلمة الحجاجية مزاحمتها غيرها من الكلمات اللاتي هن من جدولها المعجمي (مرادفاتها مثلا إن صحت مقولة الترادف) أو هن من غير جدولها المعجمي ؛لكن شاءت لعبة المجاورة بواسطة المجاز المرسل ،ولعبة المشابهة بواسطة التشبيه والاستعارة مثلا أن تجعلاهن جميعا من جدول واحد ،فينشأ بينهن تنافس وتدب في صفوفهن حركة من أجل أن تظفر بمكان لها في الملفوظ عوضا عن سائرهن تتحقق فيه وتستبد به وتقصيهن عنه ،وإنما يساعدها على الظفر بمكان لها في الملفوظ أن المقام يستدعيها أكثر مما يستدعي غيرها ،وأن هدف إقناع المتكلم مخاطبه يقتضيها أكثر مما يقتضي غيرها[4].

---

[1] السابق ،ص:325_326.

[2] الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج2 ،ص:17.

[3] ينظر: مصطفى صادق الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص:339.

[4] عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص:169.

ثالثا– حجاجية المفردة في الحديث النبوي :

الحديث الأول :عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إِنَمَا الأَعْمَالُ **بالنِّيَّات** ،وإِنَمَا لِكُلِ اِمْرِئٍ مَا نَوَى ،فَمَنْ كَانَت هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ؛فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ،ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ اِمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » رواه البخاري ومسلم[1].

– اختيار مفردة " النيات" :

في هذا الحديث الشريف نجد أن النبي ﷺ اختار هذه المفردة دون غيرها من المفردات ولم يقل إنما الأعمال بالمقاصد أو العزائم أو أي لفظ آخر من جدول هذه المفردة المعجمي فما الفرق بين النية والقصد ؟

أ) النِّيَّة والقَصْدُ في اللغة :

النِّيَّة: مصدر نَوَى الشيء يَنْوِيه، ونواه ؛والأصل فيها نِوْيَة ومن معانيها في اللغة العزم على الشيء ،يقال: نَوَيْتُ نِّيَّة أي عَزَمْتُ ،وفلان ينوي وجه كذا أي يقصده من سفر أو عمل ويقال : نويت الشيء إذا جددت في طلبه[2] ،والنية توجه النفس نحو العمل[3]، ومن معاني القصد في اللغة : إِتْيَانُ الشيء فتقول : قَصَدْتُهُ[4]،والقَصْدُ الاعْتِمَاد والأَمُ[5].

ومنه نستنتج أن النية ما استحضره المرء في نفسه ،والقصد هو إتيان هذا المستحضر في النفس والتفكير في الشروع في تنفيذه .

---

[1] يحي بن شرف النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،دار الإمام مالك ،الجزائر ،ط3 ،2014 ،ص:03.

[2] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،ج6 ،ص:4589 ،(نوى).

[3] مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،ط4 ،2004 ،ص:966. (نوى).

[4] ينظر:الرازي ،مختار الصحاح ،ص:265 ،(قصد).

[5] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ، ج 5 ،ص:3642 ،(قصد).

ب) الفرق بين النِّيَّة والقَصْد :

النية إرادة متقدمة للفعل بأوقات من قولك: انتوى إذا بَعُد ،والنوى والنية ؛البعد فسميت بها الإرادة التي بَعُدَ ما بينها وبين مرادها[1]،والقصد إرادة الفعل في حال إيجاده فقط ،وإذا تقدمته بأوقات لم يسم قصدا ،فلا يصح أن نقول :قصدت أن أزورك غدا[2].

ويرى الإمام ابن القيم (751هـ) أن بين النية والقصد فرقين :

أولهما: أن القصد معلق بفعل الفاعل نفسه ،وبفعل غيره ،وأما النية لا تتعلق إلا بفعله نفسه ،فلا يتصور أن ينوي الرجل فعل غيره ولكن يتصور أن يقصده ويريده.

وثانيهما :أن القصد لا يكون إلا بفعل مقدور عليه يقصده الفاعل ،وأما النية فينوي الإنسان ما يقدر عليه وما يعجز عنه .

فالنية تتعلق بالمقدور عليه والمعجوز عنه بخلاف القصد والإرادة فإنهما لا يتعلقان بالمعجوز عنه لا من فعله ولا من فعل غيره[3].

والنية إنما اشترطت وشرعت لتمييز العبادات من العادات ،وتمييز بعض العبادات عن بعض كالإمساك عن المفطرات قد يكون حمية أو تداويا ،والجلوس في المسجد قد يكون للاستراحة ،ودفع المال قد يكون هبة أو لغرض دنيوي ،وقد يكون قربة كزكاة أو صدقة ، والذبح قد يكون للأكل فيكون مباحا أو للأضحية فيكون عبادة ...والتقرب إلى الله تعالى يكون بالفرض والنقل والواجب ، فشرعت لتمييزها عن بعضها[4]،وأجمع المشايخ والعلماء على أنه لا ثواب ولا عقاب إلا بالنية[5].

ومما سبق نصل إلى أن أعمال الإنسان تعتبر وتصح وتقبل ،وتحسب بحسب ما اتصل بها من النيات ،وما أراده القلب أن يكون ،كما أنها تفرق بين أنواع العبادات التي هي الأعمال التي يقوم بها

---

[1] العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:124.

[2] ينظر: السابق ،ص:126.

[3] ينظر: ابن القيم ، الفروق لابن القيم ، جمع: يوسف الصالح ، فسح وزارة الإعلام عنيزة ،المملكة العربية السعودية ، ط1 ،1992،ص:109.

[4] ينظر: زين الدين بن نجم ،الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان ،تح: الشيخ زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية ،بيروت ط1،1999، ص:25.

[5] السابق :ص:17.

الإنسان ؛فالصوم مثلا قد يكون فرضا وقد يكون قضاء وقد يكون نذرا أو للحمية ؛أما القصد فهو ذلك الهم بالشروع في تنفيذ النية وتجسيدها في الواقع ولا يكون القصد إلا لفعل قريب مقدور على تنفيذه وإنجازه ، ومن هنا ندرك السر في اختيار النبي ﷺ لهذه المفردة في هذا المقام الذي يبين فيه أصل الأعمال ،فقد يقصد رجلان عملا واحدا فتكون نية أحدهما صادقة يبتغي بها وجه الله عزوجل ،والثاني يريد ثناء الناس بما قصد ،إذن فالقصد هو طريق النية.

الحديث الثاني: عَنْ عُمَرَ ﷺ أيضا قال : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ،شَدِيدُ سَوَادِ الشَعْرِ ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَفَرِ ،وَلا يَعْرِفُهُ مِنَا أَحَدٌ حَتَى جَلَسَ إِلَى النَّبِي ﷺ .فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ،وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ،وَقَالَ :يَا مُحَمَدُ ! أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسْلاَمِ .فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهَ وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله ،وَتُقِيمَ الصَّلاةَ ،وتُؤْتِي الزَكَاةَ ،وَتَصُومَ رَمَضَانَ ،وَتَحُجَ البَيْتَ إِنْ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ». قَالَ :صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِقُهُ ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ .قال: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ،وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِهِ ». قَالَ :صَدَقْتَ قَالَ :فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَانْ. قَالَ :«أَنْ **تَعْبُدَ** الله كَأَنَكَ تَرَاهُ ،فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ ».قَالَ :فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَاعَة. قَالَ :« مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَائِلِ ». قَالَ :فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ،قَالَ :« أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ،وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَاةِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ ».ثُمَ اِنْطَلَقَ ،فَلَبِثْتُ مَلِيًا ،ثُمَّ قَالَ: « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ » .فَقُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .قَالَ :« فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينُكُم » رواه مسلم[1].

– اختيار الفعل " تعبد "

أخبر النبي ﷺ عن الإحسان بقوله قال :« أن **تَعْبُدَ** الله كأنك تراه ».واختار الإخبار بالفعل **تعبد** بدل غيره من الأفعال تطيع ،تخضع ... فما الفرق بين العبادة والطاعة ؟وما وجه النفع في هذا الاختيار؟

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:05_06.

أ) العبادة والطاعة في اللغة :

من معاني العبادة في اللغة اللين والذُلُ ،والعَبْدُ :المِمْلُوك[1]،وأصل العبودية الخضوع والتذلل والعبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع والمعَبَّدُ المذلل، والتعبد التذلل ،وطريق معبد مسلوك مذلل[2]،والطاعة :الانقياد ،وطوعت له نفسه :تابعته وطاوعته أو شجعته وأعانته وأجابته إليه[3].

فالعبادة خضوع وتذلل ،والطاعة انقياد و اتباع .

ب) الفرق بين العبادة والطاعة :

الطاعة هي الموافقة للأمر ،وهي أعم من العبادة لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم .والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره ،والعبادة تعظيم يقصد به النفع بعد الموت ... والطاعة فعل المأمورات وترك المنهيات ؛فقضاء الدين والإنفاق طاعة لله وليس بعبادة وتجوز الطاعة لغير الله في غير المعصية ولا تجوز العبادة لغير الله تعالى[4]،ولا تكون العبادة إلا مع معرفة المعبود والطاعة إتباع المدعو الداعي فقد يكون الإنسان مطيعا للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه[5] .

ومنه ندرك أن استخدام الرسول ﷺ لمفردة العبادة في هذا السياق أنفع من غيرها؛ ذلك أن العبادة لله وحده ويشترط فيها الاعتقاد والخضوع والتذلل والتعظيم له سبحانه وتعالى ،فالإحسان مراقبة حسية من العبد لربه لذلك على العبد استحضار عظمة الله وإتقان العبادات، أما الطاعة لا اعتقاد فيها وقد لا يصاحبها التعظيم والخضوع والتذلل وتكون الطاعة لله وقد تكون لغيره من خلقه فالفعل تعبد جاء بهدف اقناع المتلقي بأن العبادة خاصة لله وأعظم درجة من الطاعة .

---

[1] ينظر: احمد بن فارس ،مقاييس اللغة ،تح: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ،1979،ج4 ،ص:205 ،(عبد).

[2] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،ج4 ،ص:2776 ،(عبد).

[3] ينظر: الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط8 ،2005 ،ص:745.(طوع).

[4] ينظر: أبو البقاء الكفوي ،الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تح: عدنان درويش ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ط2،1998 ،ص583.

[5] ينظر: أبوهلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص:221.

الحديث الثالث: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ :شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله ،وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ،و**إِيتَاءِ** الزَّكَاةِ ،وَحَجِّ البَيْتِ ،وَصَوْمِ رَمَضَانَ ». رواه البخاري ومسلم[1].

– اختيار مفردة " إِيتَاء "

ورد في حديث النبي ﷺ التعبير عن أداء الزكاة بمفردة **إِيتَاء** الزكاة ؛والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لا يكادان يذكران موضعا فيه الزكاة إلا وجاءت مصحوبة بمفردة الإيتاء فما الفرق بين إيتاء الزكاة وإعطائها ؟

أ) الإيتاء والإعطاء في اللغة :

فسرت المعجمات الإيتاء بالإعطاء ،ونصت على أنهما مترادفان[2]فآتى إليه الشيء :ساقه والإيتاء الإعطاء ،وآت :هات[3] ،ومن معاني الإعطاء المناولة ،والعطاء : النَول[4].

لكن الاستعمال النبوي والقرآني الدائم لمفردة الإيتاء في التعبير عن أداء الزكاة يبين أن ثمة فروقا دقيقة بين الإيتاء والإعطاء .

ب) الفرق بين الإيتاء والإعطاء :

قال الفاضل النيسابوري: « في الإعطاء دليل التملك دون الإيتاء ويؤيده قوله عز وجل:﴿ إِنَّا أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[5] .

---

[1] الإمام النووي ، الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:07.

[2] ينظر ،ابن منظور ،لسان العرب ،ج1،ص22./ ابن فارس ،المجمل في اللغة ،تح:زهير عبد المحسن سلطان ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط2،1986 ج1 ،ص86، (أَتَوَ)

[3] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،ج1 ،ص22. (أتو).

[4] ينظر: السابق ،ج4 ،ص:3002 (عطو).

[5] الكوثر 1.

فإن كان له منع من شاء كالمالك للملك ،أما بالنسبة للقرآن فقد قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[1]،فأمته والناس جميعا مشاركون في فوائده ،وليس له أن يمنعهم منه»[2] والإيتاء فيه قوة ليست للإعطاء ؛لأن الإعطاء يتوقف على القبول ،بينما الإيتاء لا يتوقف على القبول ؛لذلك أمر المسلمون بإيتاء الزكاة في كثير من الآياتوَأَقِيمُواْ ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ البقرة 43،83،111، النساء77 ،النور 56، المجادلة 13، المزمل 20.بينما عبر عن الجزية بالإعطاء في قوله تعال ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[3].ذلك لأن الجزية موقوفة

على قبول منا ويكون الإيتاء عن طيب قلب ؛بينما عبر عن الجزية بالإعطاء ؛لأن الذمي لا يعطي الجزية راضيا بل مكرها[4].

فالإيتاء والإعطاء يشتركان في معنى وهو بذل الشيء إلا أن الإيتاء مما سبق ذكره هو بذل الشيء عن طيب نفس ورضا ،فجاءت مفردة الإيتاء هنا لتعبر عن ركن من أركان الإسلام وهي تحمل في دلالتها معنى يليق به ،وبما أن في الإعطاء دليل التملك دون الإيتاء ؛فإن مال الزكاة هو مال الله وليس للمسلم منع الفقراء منه. وهذه دقة متناهية في اختيار المفردة التي تعبر عن هذا المعنى.

الحديث الرابع: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال :حدثنا رسول الله ﷺ :« إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ

---

[1] الحجر 87.

[2] نور الدين الجزائري ،فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،تح:محمد رضوان الداية ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ،طهران ،2000 ،ص:62.

[3] التوبة 11.

[4] ينظر: محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،دار غريب ،القاهرة ،2008 ،ص:29 _30.

يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُوحُ ،وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ ،وَأَجَلِهِ ،وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌ أَوْ سَعِيدٌ فَو الذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْه الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَارِ فَيَدْخُلُهَا ،وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعُ فَيَسْبِق عَلَيْهِ الكِتَابُ ،فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا »رواه البخاري ومسلم[1].

– اختيار الفعل " يُرسَل":

عندما يجمع خلق المرء في بطن أمه ويكون علقة ثم مضغة يُرسِل الله إليه الملك المكلف بالأرحام ؛فينفخ فيه الروح ويكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ،وقد انتقى النبي صلى الله عليه وسلم الفعل يرسل بدل غيره من الأفعال التي تشترك معه في حمل هذا المعنى نحو: يُبْعَث ،يُنْفَذُ... فما وجه النفع هنا في اختيار الإرسال وما البعد الإقناعي في ذلك ؟

أ) الإرسال والبعث في اللغة :

الإرسال في اللغة توجيه الشيء برفق وبتؤدة ومنه قولهم :على رِسْلِكَ عند طلب الرفق والتأني في القول أو العمل[2].ومن معانيه التسليط والانطلاق[3] وهو أيضا التوجيه والانبعاث[4]،والبعث الإثارة والتوجيه والتنبيه وبعثه:أرسله[5].

ويتضح أن الإرسال والبعث يشتركان في معنى التوجيه ،ويتميز الإرسال بمعنى الرفق والهدوء بينما نلاحظ التنبيه والإيقاظ في البعث .

ب) الفرق بين الإرسال والبعث : قولنا أرسلت زيدا إلى عمرو يقتضي أنك حملته رسالة إليه أو خبرا ، وما أشبه ذلك ،أما البعث ؛فيجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ،ودون

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:08 _09.

[2] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،تح:مكتبة نزار مصطفى الباز ،مكتبة نزار مصطفى الباز ،ج1،ص:258،(رسل) .

[3] الفيروزآبادي ،القاموس المحيط ،ص:1006 ،(رسل).

[4] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج2 ،ص:392 ،(رسل) .

[5] ينظر: الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:67 ،(بعث).

المبعوث إليه ،كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول بعثته ولا تقول أرسلته ،لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة ،وما يجري مجراها ولا يستعمل الإرسال إلا حيث يستعمل الرسول[1].

ومنه فإن انتقاء النبي ﷺ للفعل يرسل بدل غيره أجدى من أي اختيار آخر ؛ذلك أن الملَكَ المكلف بالأرحام إنما هو رسول يحمل رسالة الروح والرزق والأجل والعمل والحال ،وفي الإرسال معنى الرفق واللطف في القول والعمل كما تبين في قولهم :على رسلك ؛ ونفخ الروح في الإنسان لا نراه بأعيننا ولا نسمع له ولو همسا .ومن قوله تعالى:﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾[2] وقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾[3]. وقوله :﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[4]

فإن البعث يكون لإحياء الموتى وإعادة الروح إليهم وهذا المعنى في البعث دون الإرسال ،لكن الملَك هنا جاء رسولا لينفخ الروح لأول مرة لا ليعيد بعثها من جديد ويؤيده قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾[5] .

ونخلص مما سبق أن بين البعث والإرسال فروقا دقيقة عند استعمالهما في نفخ الروح ؛فالبعث يقتضي أن الروح قد نفخت من قبل ثم قبضت ،ثم بعثت من جديد ،بينما يقتضي الإرسال نفخ

[1] ينظر: أبوهلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:268.

[2]. البقرة 259.

[3] الأنعام 60.

[4] يس 52/51.

[5] مريم 19/18/17.

الروح أول مرة ،ويقتضي الإرسال تحميل الرسالة ،بينما يمتاز البعث بمعنى التنبيه والإيقاظ والإثارة لهذا كان الإرسال أنفع من غيره في هذا المقام وهذا من دقة اختياره ﷺ للمفردات . !

الحديث الخامس: عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت :قال رسول الله ﷺ :« مَنْ **أَحْدَثَ** فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدُ » رواه البخاري ومسلم[1] .

– اختيار الفعل" أحدث" :

في حديث النبي ﷺ نهي عن الإحداث والاختراع في دين الإسلام ،فما هو الأمر المحدث وما الفرق بين المحدث والجديد وما اللمسة البيانية في اختيار الفعل أحدث دون جدد؟

أ) المحدث والجديد في اللغة :

الحُدُوثُ لغة كون الشيء بعد أَنْ لم يكن ،وإِحْداثُه ايجاده[2].وأَحْدَثَهُ الله فَحَدَثَ[3]،والجديد مأخوذ من جد الشيء إذا قطعه ،وثوب جديد ناسجه قطعه الآن ،وكل شيء لم تأت عليه الأيام فهو جديد ،والجديدان الليل والنهار، والجد أبو الأب، وفي الدعاء :لا ينفع ذا الجد منك الجد أي من كان له حظ في الدنيا لم ينفعه ذلك في الآخرة[4].

ومنه فالشيء المحدث ما ابتدع من غير سابق له وأوجد من عدم، والجديد ما كان يمتد إلى أصل قديم وهذا حسبما جاء في المعجمات العربية.

ب) الفرق بين المحدث والجديد :

الحُدُوث هو الخروج من العدم إلى الوجود[5] ،والإحداث إيجاد الشيء بعد العدم[6].

---

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:10.

[2] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1،ص:144،(حدث).

[3] ابن منظور ،لسان العرب ،ج2 ،ص:796.(حدث).

[4] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:115،(جدَّ)

[5] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص:400.

[6] السابق ،ص:29.

قال تعالى:قَالَ ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[1]. قال ابن كثير : أي حتى أبدأك به قبل أن تسألني [2].والجديد هو الشيء الموصول بالشيء السابق عليه فالشيء الجديد يقتضي وجود شيء من جنسه سابق عليه يكون هذا الجديد امتدادا واستمرارا له[3] قال تعالىَ: ﴿ ذَٰلِك وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[4] أي أنُبْعث مرة أخرى بعدما بَلينا وصِرنا عدما لا يذكر[5].

ومنه فالإحداث والتجديد يشتركان في معنى وجود الشيء ،إلا أن الإحداث دال على الأولية والاختراع ،والتجديد دال على الاستمرار والاتصال والبعث مرة أخرى .كما في حديث النبي ﷺ:« إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[6] بمعنى أن يجعل دينها يستمر ويتواصل عبر الزمن والدعوة إليه لا تنقطع ،فهو يبعث الأمل في نفوس الأمة[7]. وهنا يختلف الإحداث عن التجديد فالإحداث في أمر الدين يعتبر إضافة وإكمالا لنقص به ؛قال الإمام مالك : « من استحسن في الدين شيئا لم يكن فقد زعم أن محمدا ﷺ قد خان الرسالة ؛لأن ما لم يكن في عهده دينا فليس اليوم بدين »[8]،ولو قال النبي ﷺ من جدد لكان في قوله تناقض ونهي عن بعث الخير والأمل في الأمة وهذا من بلاغة إقناعه ﷺ ونفاذه في اللغة ،وهذا من حسن البلاغ . !

الحديث السادس : عن أبي عبد الله النعمان بن بشيرﷺ قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ **الحَلاَلَ** بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ ،وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ،فَمَنْ اِتَّقَى الشُبُهَات اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ،وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى

[1] الكهف 70.

[2] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج 5،ص:181.

[3] ينظر: محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:178.

[4] الإسراء 98/49.

[5] ينظر: ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج5 ص:84.

[6] محمد ناصر الدين الألباني ،سلسلة الأحاديث الصحيحة ،مكتبة المعارف ، الرياض ،1995 ،ج2 ،ص:148.

[7] ينظر: يوسف القرضاوي ، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا ،دار الشروق ،القاهرة ،ط1 ،2001 ،ص:13.

[8] ابن دقيق العيد ،شرح الأربعين النووية ،تح: محمد عوض هيكل ،دار السلام للنشر ،القاهرة ،ط5،2012 ،ص:106.

يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ،أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِ مَلِكٍ حِمَى ،أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ،أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ،وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ،أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » رواه البخاري ومسلم[1].

– اختيار مفردة " الحلال " :

اختلف العلماء في مفردتي الحلال والطيِّب فمنهم من يرى بأنهما مترادفتان ، ومنهم من يرى أن ثمة فروقا دلالية بينهما ،والنبي ﷺ قال الحلال بَيِّنٌ ولم يقل الطيِّب بين فما هو وجه النفع في هذا الاختيار في هذا المقام ؟

أ) الحلال والطيب في اللغة :

الحلاَلُ ضد الحرام وهو من حَلَّ الشيء وأباحه وأوسع الأمر فيه[2] ،والطَّيِّبُ خلاف الخبيث يقال طُعْمَةٌ طيبة إذا كانت حلالا ، ويقال أرض طَيِّبَةٌ إذا كانت تصلح للنبات ،قال بن الأثير :وقد تكرر في الحديث ذكر الطيب والطيبات، وأكثر ما يرد بمعنى الحلال ،والطَّيب والطيبة الحِلُّ[3].

ومما سبق فإن الجامع الدلالي بين الحلال والطيب كونهما مما تحبه النفس المؤمنة وترغب فيه ويقبله الله ويرتضيه .

ب) الفرق بين الحلال والطيب :

الحلال ما أفتاك المفتي أنه حلال[4]،فهو ما نص الشارع على حِلِّهِ فكأنه انحل من عقد التحريم[5]ويراد بالحلال الحكم الشرعي بإباحة الشيء[6]،والطيب ما هو طيب في ظاهر الشرع سواء كان

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:11.

[2] ينظر: ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج2 ص:21.(حلل) .

[3] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،ج4 ،ص2331 وما بعدها.(طيب) .

[4] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص:400.

[5] نور الدين الجزائري ،فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،ص110.

[6] محمد محمد داوود ،معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:210 .

طيبا أم لا[1] ويراد بالطيب ما في الشيء من لذة والطيب وصف لحقيقة الشيء بينما الحلال حكم على الشيء[2].

ونخلص إلى أن الحلال هو الحكم الشرعي على شيء ما ،والطيب صفة لما يُسْتلَذ من المباح ؛لهذا قال النبي ﷺ الحلال بين فهو يتحدث عن حكم الشيء شرعا ،ولا يصف اللذة من الشيء أو فيه، فهو في مقام الحث على الحرص والورع على تبيُّن الحكم لاجتناب الشبهات ،ومن هذا فإن مفردة الحلال أحق أن يكون لها هذا المكان من الملفوظ وهي أنفع من غيرها وأجدى في هذا المقام من مفردة الطيب أو غيرها من المفردات .

الحديث التاسع : عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوه وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا **اَسْتَطَعْتُمْ** ،فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاْخِتَلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» رواه البخاري ومسلم[3].

– اختيار الفعل "استطعتم" :

لم يأمر النبي ﷺ في باب العبادات والطاعات إلا بمستطاع ،فقال :ما استطعتم ولم يقل ما أطقتم ،فما هي الاستطاعة وما الفرق بينها وبين الإطاقة ؟ وما البعد الحجاجي في الاستطاعة هنا ؟

أ) الاستطاعة والإطاقة في اللغة

الطَاعَةُ :الانقياد وطوَّعت له نفسه :تَابَعَتْه وَطَاوَعَتْه أو شجعته وأعانته وأجابته إليه ،واسْتَطَاعَ أَطَاقَ[4]،والإطَاقَة القدرة على الشيء[5]وطوقتك الشيء كلفتكه[6].

ونخلص إلى أن الاستطاعة والإطاقة يتفقان في ملمح دلالي مشترك وهو القدرة والاحتمال .

---

[1] الأب هرينكوس لامنس اليسوعي ،فرائد اللغة ،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت ،1989ج1(في الفروق)ص:189.

[2] محمد محمد داوود ،معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:212.

[3] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:14.

[4] ينظر: الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص:745_476 ،(طوع) .

[5] السابق:ص:906. .(طوق) .

[6] ابن فارس ،المجمل في اللغة ،ج1 ،ص590 ،(طوق) .

ب) الفرق بين الاستطاعة والإطاقة :

الاستطاعة عرض يخلقه الله في الإنسان يفعل به الأفعال الاختيارية[1] ،أوهي التهيؤ لتنفيذ الفعل بإرادة المختار من غير عائق[2] والاستطاعة شرعا هي ما لا يحصل معه للمكلف ضرر راجح كاستطاعة الصيام والقيام والزكاة والحج وغيرها[3] وأما الإطاقة فهي اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقـــة [4]، ويعبر بالإطاقة في العربية للتعبير عن أقصى الجهد ونهاية الاحتمال والتحمل أو تقع فيما يثقل على الإنسان أداؤه بينما نلمس في الاستطاعة حس الطواعية والمواتاة والسهولة.[5]

ومنه نصل إلى أن استعمال النبي ﷺ لمفردة الاستطاعة دون الإطاقة أصلح ؛لما فيها من الدلالة على اليسر والسهولة والتخفيف على المسلمين لكي لا يحصل الضرر للمكلفين بالعبادات والطاعات وأمر ببذل الجهد فيما أمر من الخير والبر بحسب مقدور الإنسان ويصدقه قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ [6]

وجاء في تفسير ابن كثير أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [7] فإن هذه الآية عندما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله ﴿ وفَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾فنسخت الآية الأولى[8] ،وأما الإطاقة في كلام العرب كما سبق ذكره فهي للتعبير عما يثقل

[1] ينظر: الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ،مكتبة لبنان ،بيروت ،1985،ص:18.

[2] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص108.

[3] ينظر: ابن تيمية ،كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ،تح:عبد الرحمن قاسم النجدي ،مكتبة ابن تيمية ،ج14،ص102.

[4] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج 2 ،ص:407.

[5] ينظر ،محمد ياس خضر الدوري ،دقائق الفروق اللغوية في القرآن الكريم ،أطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد ،2005،ص:185.

[6] التغابن 16.

[7] آل عمران 102.

[8] ينظر:ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج8،ص:140.

أداؤه وتحمله لما فيه من مشقة ومن ذلك قوله تعالى﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [1] أي من التكليف والبلاء[2].ومراد النبي يتوافق وما جاء في الآية .

الحديث الثاني عشر: عن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ **المَرْءِ** تَرْكُهُ مَالا يَعْنِيهِ » رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع[3] .

- **اختيار مفردة: "المرء"**

المرء ،الرجل ،العبد ،والإنسان من بين هذه المفردات ظفرت مفردة المرء في هذا الحديث بمكان لها فما سر هذا الظفر ؟

أ) المرء والرجل في اللغة :

مَرَأَ هو اَمْرُؤٌ صِدقٍ ، ومن معاني المُروءَة في كلام العرب إذ يقال للرجل: فيه مُرُوءَةٌ أي: كمال الرجولية[4] .

والمروءة الإنسانية[5] ،ورجل بَيِّنُ الرُّجُولَة والرُّجُولِيَة :وهي الجلادة[6] وهذا رجل ؛أي كامل في الرجال[7].

ومنه فالمروءة والرجولة في لغة العرب تشتركان في معنى كمال الرَّجُل.

[1] البقرة 286.

[2] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج1 ،ص:738.

[3] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:17.

[4] الزمخشري ،أساس البلاغة ،ج2،ص:201.(مَرأ)

[5] الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص:52.(مرأ) .

[6] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:252.(رجل) .

[7] الزمخشري ،أساس البلاغة ،ج1،ص:340.(رجل) .

ب) الفرق بين المَرْءِ والرَّجُل :

قولنا :رَجُل يفيد معناه القوة على الأعمال ؛ولهذا يقال في مدح الإنسان :أنه رجل ،والمرء تفيد أدب النفس ولهذا يقال المروءة أدب مخصوص[1] ،والمروءة قوة في النفس لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعا وعقلا وعُرفا[2].

ونخلص إلى أن استعمال مفردة المرء في هذا المقام أنسب من استعمال مفردة الرجل وغيرها من المفردات ؛ذلك أن النبي ﷺ في سياق الحديث عن أدب النفس إذ نجد في مفردة المرء لطفا ورقة وقد جعلها النبي ﷺ مؤتلفة مع سائر مفردات هذا الحديث فكف المرء وتركه ما لا يعنيه من كمال المروءة لأن هذا من طبائع النفوس ،بينما تعبر مفردة الرجل عن القوة والجلادة والتحمل .

الحديث الخامس عشر : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُل خَيْرًا أَوْ **لِيَصْمُت** » رواه البخاري ومسلم [3] .

– اختيار الفعل " يصمت" :

يعبر في لغتنا العربية عن ترك الكلام بالصمت وبالسكوت وفي هذا الحديث اختار النبي ﷺ الفعل يصمت ومن المؤكد أن بين الصمت والسكوت فروقا دلالية دقيقة رجحت اختيار استعمال الفعل يصمت في هذا المقام .

أ) الصمت والسكوت في اللغة :

الصمت لغة السكوت وأَصْمَتَ أطال السكوت[4].والسُكُوتُ خلاف النطق[5]،والسكوت مختص بترك الكلام[6].

---

[1] العسكري ،الفروق اللغوية ،ص277.

[2] الشريف الجرجاني ، التعريفات ،ص: 223.

[3] الإمام النووي ،الأربعون النووية ،ص:20.

[4] ابن منظور ،لسان العرب ،ج4 ،ص:2492 ،(صمت).

[5] السابق ،ج3،ص:2046 ،(سكت).

[6] الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:311،(سكت).

نصت أغلب المعجمات العربية أن الصمت والسكوت مترادفان و يشتركان في معنى الكف عن الكلام.

ب) الفرق بين الصمت والسكوت :

الصمت إمساك عن قول الباطل دون الحق والسكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه ومن ضم شفتيه آنا لا يكون صامتا إلا إذا طالت مدة الضم ،والسكوت إمساك عن قول الحق والباطل [1].

ومن الفرق بين الصمت والسكوت يتجلى لنا سر اختيار النبي ﷺ لمفردة الصمت ففي الصمت الكف عن قول الباطل وهذا من الأدب والحكمة ، بينما السكوت هو ترك الحق والباطل ولو استعمل النبي ﷺ مفردة السكوت لكان خللا في المعنى باعتبار أنه قال: فليقل خيرا ،وهو لم ينه هنا عن قول الحق ولا عن الكلم الطيب وهذا من روعة استخدامه ﷺ للغة ودقة اختياره ومعرفته بالمفردات التي تتناسب ومعانيها.!

الحديث السادس عشر : عن أبي هريرةرضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني قال: « لاَ **تَغْضَبْ**» فردد مرارا قال: « لاَ **تَغْضَبْ** » رواه البخاري[2].

– اختيار الفعل " تغضب" :

الغضب ،الغيظ ،الحَرد ،السُّخط والاشتياط ؛مفردات تعبر كلها عن عدم الرضا انتقى النبي ﷺ مفردة الغضب من بينهن جميعا ،ونهى الرجل عن الغضب وكرر ذلك مرارا فما الفرق بين الغضب والسخط والغيظ ؟ وما وجه النفع في اختيار هذه المفردة ؟

[1] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص:509.

[2] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:21.

أ) الغَضَبُ والسُخْطُ والغَيْظُ في اللغة :

الغضب نقيض الرضا وهو شدة السُخْطِ والإنكار[1]،والغيظ غضب كامن في النفس بسبب سوء لحقه من غيره[2]،وسَخط الشيء كَرِهَهُ وأَسْخَطَهُ أغضبه والسَّخط والسُخط هي الكراهية للشيء وعدم الرضا به[3].

ومنه فإن هذه المفردات الثلاثة دالة في اللغة على الكراهة وعدم الرضا .

ب) الفرق بين الغضب والسخط والغيظ :

الغضب ثوران دم القلب إرادة للانتقام[4].و الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه[5]، وفي الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[6]. ويكون الغضب من الكبير على الصغير ومن الصغير على الكبير على حد سواء [7].بينما السخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير يقال: سخط الأمير على الحاجب ولا يقال سخط الحاجب على الأمير ويستعمل الغضب فيهما ،والسخط إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا يقال: رضيه وسخطه ،وإذا عديته بعلى فهو بمعنى الغضب تقول :سخط الله عليه إذا أراد عقابه[8].والغيظ تغير يلحق بالمغتاظ ولا يجوز إسناده إلى الله عز وجل [9] ؛ لأنه كامن في النفس لا يستطاع إنفاذه للعجز عن ذلك[10].كما في قول الله عز وجل :﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ

---

[1] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،ج3 ،ص: 3262ومابعدها.

[2]. ينظر :السابق ،ج3 ،ص:3328.

[3] ينظر :السابق ،ج3 ،ص:1964.

[4] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج2 ،ص:468.

[5] العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:130.

[6] الشورى 37

[7] ينظر: العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:130.

[8] السابق ،ص:130.

[9] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص671:.

[10] محمد محمد داوود ،معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:288.

ٱلصُّدُورِ ﴾[1]ولما كان الغيظ خفيا كامنا في النفس قال عز وجل وإذا خَلَوْا لأنهم يضمرون ذلك في نفوسهم ولا يظهرونه للمؤمنين فقال لهم ﴿ **مُوتُوا بِغَيْظِكُم** ﴾ أي ازدادوا غيظا حتى تهلكوا.[2]

ونصل مما سبق إلى أن الغضب يتميز عن السخط والغيظ بالشدة وبتأثيره على الجوارح وكون الغضب يؤدي إلى الانتقام والإضرار بالغير ،بينما السخط _حسبما وجدناه_ فهو الكراهة وهو نقيض الرضا ،والغيظ انفعال كامن في النفس يعجز المغتاظ عن انفاذه ، وكون النبي ﷺ نهى الرجل عن الغضب وكرر ذلك النهي مرارا مرده أن الغضب عواقبه أخطر وأشد إضرارا وقال ﷺ :« اتقوا الغضب فإنه جمرة تُوقَد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه»[3].

فقد يصاب الغضبان في جسده وقد يضر غيره .

الحديث الثامن عشر: عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبلرضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **اِتَّقِ** الله حَيْثُمَاكُنْتَ ،وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ،وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » رواه الترمذي [4].

– اختيار الفعل "اتق":

أسلم أبو ذر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ بمكة ،وأمره أن يلحق بقومه ،فلما رأى حرصه على المقام معه بمكة وعلم أنه لا يقدر على ذلك قال له :« **اِتَّقِ** الله حَيْثُمَاكُنْتَ ،وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ،وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[5] فما الفرق بين الاتقاء والخشية بما أنه أمره بالتقوى وما وجه النفع في اتق ؟

أ) الاتقاء والخشية في اللغة :

الاتقاء الحفظ والحذر[6]والوقاية بمعنى الصيانة والستر[7]،

---

[1] آل عمـران 119.

[2] ينظر: الزمخشري ،الكشاف ،تح: عادل أحمد عبد الموجود ، ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،ط1 ،1998.ج1،ص:616.

[3] صحيح البخاري ،الإمام البخاري ،تح:محمد زهير بن ناصر الناصر ،دار طوق النجاة ،2003 ،ج5 ،ص112.

[4] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:23.

[5] ابن دقيق العيد ،شرح الأربعين النووية ،ص:177.

[6] الفيروزآبادي القاموس المحيط ،ص:1344.(وقي)

[7] ابن منظور ،لسان العرب ،ج6 ،ص:4901.(وقي).

والخشية الخوف والذعر وخشي عَلِمَ[1]

المعنى الجامع بين الاتقاء والخشية هو الاحتراز والحذر.

ب) الفرق بين الاتقاء والخشية :

الاتقاء في الشرع حفظ النفس عما يؤثم ،وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، كما جاء في حديث : «الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الحِمَى فَحَقِيقٌ أَنْ يَقَعَ فِيهِ »[2].،والتقوى منتهى الطاعات[3] وحقيقة التقوى هي العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا ،أمرا ونهيا، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بوعده ويترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده[4] ،أما الخشية تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وقال الطوسي :«الخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الله وهيبته»[5]. والخشية للعلماء بالله فهي خوف مقرون بمعرفة الله، قال رسول الله ﷺ: « إنني أتقاكم لله وأشدكم له خشية »[6] ،قال عز وجل :وَمِنَ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[7]

جاء في تفسير ابن كثير أن معنى هذه الآية أن من يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل ،كانت الخشية له أعظم وأكثر[8] .

ونخلص إلى أن التقوى تكون بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وقاية من العذاب واحترازا منه و الخشية تنشأ بالتقوى وبمعرفة الله وتعظيمه وإجلاله وهي خاصة بالعلماء والمقام في هذا الحديث لا

---

[1] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج2،ص:184.(خشي).

[2] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج2،ص:688.

[3] أبو البقاء الكفوي ،معجم الكليات ،ص:299.

[4] ابن القيم ،الرسالة التبوكية ،تح: محمد عزير شمس ، دار عالم الفوائد ،جدة ،ص8.

[5] الأب هرينكوس لامنس ،فرائد اللغة ،ج1،ص:84.

[6] ينظر: ابن القيم ،مدارج السالكين ، تح: ناصر بن سليمان الشهري ،علي عبد الرحمن القرعاوي وآخرون ،دار الصميعي للنشر والتوزيع ،الرياض ،2011، ط1 ،ج 2 ،ص:1303.

[7] فاطر 28.

[8] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج6 ،ص:544.

يستدعي التوصية بالخشية لأن أبا ذر حديث العهد بالإسلام ،لذلك كان الفعل اتق أحج وأنفع من غيره في هذا المقام .ولو أمره النبي ﷺ بالخشية لشق عليه الأمر ولكنه ﷺ بصفته نبيا وكما قال تعالى :﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1] فقد كان لزاما عليه انتقاء المفردات التي تبلغ رسالته لاستيفاء المهمة وكان لابد وأن يتطابق كلامه مع مقتضى الحال فقد كان حريصا على أن يخاطب كل قوم بل كل فرد بقدر حاله !

الحديث العشرون :عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ :« إِنَّ مِمَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوةِ الأُولَى:إِذَا لَمْ تَسْتَحِ **فَاصْنَعْ** مَاشِئْتَ» رواه البخاري[2].

– اختيار الفعل "اصنع ": النبي ﷺ هنا في مقام النهي عن إتيان الفعل القبيح وتبيان أن الحياء ينقذ الإنسان من الوقوع في المهالك ،ولكن لِمَ انتقى النبي ﷺ الفعل اصنع واختاره في هذا المقام من بين افعل ،اعمل ،اجن ،ائت ...

أ) الصنع والفعل والعمل في اللغة :

الصُنْعُ في اللغة إجادة الفعل ،وصَنَعَ يقال للحاذق المجيد[3]،والعَمَلُ لغة كل فعل مقصود أما الفعل فقد يقع من غير قصد[4] ،والفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة ولِما كان عن علم أو غير علم و قصد أوغير قصد[5] .

ومما سبق نصل إلى أن في الصنع المهارة وفي العمل القصد وبينما يكون الفعل عن قصد وعن غير قصد ،وعن علم ومن غير علم ،وقد يكون فيه حذق وقد لا يكون .يجمعها معنى التأثير في الشيء .

[1] العنكبوت 18.

[2] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية النووية ،ص:26.

[3] ينظر: الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج2،ص:375،376.(صنع).

[4] ينظر: السابق ،ج2ص:451 ،(عمل).

[5] ينظر: السابق ،ج2 ،ص:494 ،(فعل).

ب) الفرق بين الصنع والعمل والفعل :

الصنع هو ترتيب العمل وإحكامه على ما تقدم علم به ،وبما يوصل إلى المراد منه لذلك قيل للنجار صانع ،ولا يقال للتاجر صانع [1]ولا يأتي الصنع إلا في العاقل[2] والصنع يطلق على العمل المتقن في الخير أو الشر[3] قال عز وجل : ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾[4] ،والعمل إيجاد الأثر في الشيء ،يقال :فلان يعمل الطين خزفا ويعمل الخوص زنبيلا والأديم سقاء ولا يقال يفعل ذلك لأن المراد من ذلك الشيء هو إيجاده[5] ،والعمل كل فعل مقصود[6] ،وأما الفعل فهو لفظ عام يقال لما كان بإجادة وبدونها ولما كان بعلم أو بغير علم وقصد وبغير قصد و لما كان من الإنسان والحيوان والجماد[7] أو هو حركة واعية أو غير واعية يتم بالجارحة أو بالقوة يصدر من الإنسان وغيره ويترك أثرا محسوسا أو غير محسوس[8].

ومن خلال ما سبق نصل إلى أن استعمال النبي ﷺ للفعل اصنع واختياره له _وعدوله عن الفعل والعمل _ أجدى وأصلح في هذا المقام لأن الصنع لا يأتي إلا في العاقل وعن سابق علم ومن لم يستح دعاه ترك الحياء إلى أن يصنع ما يشاء ،فالحياء هو القوة الرادعة للمرء التي تعينه على اجتناب القبيح من الأقوال والأفعال ،والفعل اصنع هنا أبلغ في الذم والاستنكار ولأن من غادره خلق الحياء رسخت فيه القبائح والسيئات وصارت صنائع فيه سواء أكانت أقوالا أو أفعالا بينما لو قال

---

[1] أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:135.

[2] ينظر: الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج2،ص:375.

[3] محمد محمد داوود ،معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:320.

[4] طه 69.

[5] أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:134.

[6] ينظر: الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج2ص:451.

[7] ينظر: أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:133

[8] عبد الكريم مصلح البحلة ،مفهوما العمل والفعل والعلاقة بينهما في ضوء الاستعمال القرآني ،مجلة :دراسات مصطلحية ، مجلة حولية محكمة ،مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ، فاس ، المغرب ،العدد 14/13، 2013 /2014 ،ص: 200.

:اعمل لكان لزاما أن يوجد الأثر في هذا العمل ومن الذنوب ما لا يوجد أثرها ملموسا كالشرك والرياء ، ولو قال افعل فربما يكون الفعل عن قصد أو عن غير قصد .

الحديث الحادي والعشرون : عن أبي عمرو وقيل أبي عَمْرَةَ سفيان بن عبد الله ﷺ قال : قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ؛قال : « قُلْ **آمَنْتُ** بالله ثُمَّ اَسْتَقِمْ » رواه مسلم[1].

– اختيار الفعل "آمنت ":

قال :قل آمنت ولم يقل صدقت ،فما البعد الحجاجي لهذا الاختيار في هذا الحديث الشريف ؟

أ) الإيمان والتصديق في اللغة :

كثير من اللغويين لم يفرقوا بين الإيمان والتصديق ،وعدا من المترادفات ترادفا تاما قال أبو منصور الأزهري (370هـ) :« اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق»[2].

وآمن به في اللغة بمعنى صدقه والإيمان الثقة [3]،والصدق نقيض الكذب وصَدَّقه قبل قوله[4].

ب) الفرق بين الإيمان والتصديق :

قال تعالى :﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾[5] قال أغلب المفسرين :مؤمن هنا بمعنى مصدق [6]. ويرى ابن تيمية (728هـ) :أن الإيمان أخص من التصديق ،لأن الإيمان تصديق مخصوص يستعمل على نحو مخصوص ،ولأن كل مخبر عن مشاهدة أوغيب يقال له :صدقت ،كما يقال له كذبت ،

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:27.

[2] أبو منصور الأزهري ،تهذيب اللغة ،تح: إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1967،ج15،ص:513،(أمن).

[3] الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص:1176،(أمن).

[4] ابن منظور ،لسان العرب ،ج4،ص:2417،(صدق).

[5] يوسف 17.

[6] ينظر: أبو حيان التوحيدي ، تفسير البحر المحيط ،تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1،1993 ،ج5،ص:289./وينظر: ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج4،ص:375.

وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب ولهذا يقال للشهود صَدَّقْنَاهُم ولا يقال آمنالهم ؛ذلك أن الإيمان مشتق من الأمن والأمانة ،لذلك فهو يستعمل في خبر يُؤتمن عليه المخبر، ولم يستعمل لفظ آمن إلا في هذا النوع وقوله: ﴿**يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾ أي يصدقهم فيما أخبروا به مما غاب عنه وهم مأمونون عنده ،فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة ،ومن أوجه الفرق أيضا أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كما قوبل به لفظ التكذيب ،وإنما قوبل به لفظ الكفر ،يقال هو مؤمن أو كافر والكفر لا يختص بالتكذيب فحسب ؛وإنما قد يكون الكفر تكذيبا ،وقد يكون مخالفة وامتناعا بلا تكذيب ،ولما كان الأمر كذلك لزم أن يكون الإيمان تصديقا مع موافقة وموالاة وانقياد لا مجرد التصديق[1].

ونخلص إلى أن الإيمان يكون تصديقا مع موافقة وموالاة وانقياد ،ويتميز عن التصديق بالغيب دون المشاهدة ،وهذا ما يريده النبيﷺ في هذا الحديث فالإيمان هنا أقوى وأحج من التصديق ،فالنبي يحث الصحابي على الانقياد والموافقة للدين والاستقامة وفي الإيمان معنى القوة والرسوخ لأن الإيمان بالله أمر من الغيبيات فمن آمن بالله ولم يره واستقام على امتثال الأوامر واجتناب المنكرات أفلح ونجا وكان أصدق وأخلص لله عز وجل .

الحديث الثالث والعشرون :عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعريرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **الطُّهُورُ** شَطْرُ الإِيمَانِ ،وَالحَمْدُ لله تَمَلأُ الميزَانَ ،وَسُبْحَانَ الله والحَمْدُ لله تَمَلآَنِ أَوْ تَمَلأُ مَا بَيْنَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ،وَالصَلاَةُ نُورٌ ،وَالصَدَقَةُ بُرْهَانٌ ،وَالَصَبْرُ ضِيَاءٌ ،وَالقُرْآنُ حُجَةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ،كُلُّ النَاسِ يَغْدُو ،فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » رواه مسلم[2].

[1] محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية ،ص:87.

[2] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:29.

– اختيار مفردة "الطهور ":

ظفرت مفردة الطهور في هذا الحديث بمكان لها ،وأقصت مفردات أخرى من جدولها المعجمي ربما كان من الممكن أن يظفرن هن به نحو الوضوء ،الاغتسال ، النظافة ...فما الفرق بين النظافة والطهارة وما وجه النفع في اختيار هذه المفردة دون غيرها ؟

أ) الطهور والنظافة في اللغة :

الطهر نقيض النجاسة ،وكل ماء نظيف طَهور[1] والتطهر التَّنَزُّه والكف عن الإثم[2] ، والنظافة لغة النقاوة[3] ونَظُفَ الشيء بمعنى حَسُنَ وبَهُو ،وفلان نظيف الثوب أي عفيف[4].

ومنه الطهارة والنظافة تشتركان في معنى إزالة الدنس والنجاسة .

ب) الفرق بين الطهارة والنظافة :

الطهارة تكون في الخِلقة والمعاني لأنها تقتضي منافاة العيب ؛يقال فلان طاهر الأخلاق ،وتقول: المؤمن طاهر مطهر يعني أنه جامع للخصال المحمودة ،والكافر خبيث لأنه خلاف المؤمن ،وتقول :هو طاهر الثوب والجسد ،والنظافة لا تكون إلا في الخلق واللباس ،وهي تفيد منافاة الدنس ولا تستعمل في المعاني وتقول :هو نظيف الصورة أي :حسنها ونظيف الثوب والجسد ،ولا تقول نظيف الخُلق[5].

ومنه نستنتج أن مفردة الطهور أنفع من غيرها ذلك أن الطهارة تكون باطن المرء وظاهره ،أما النظافة فهي لظاهر الجسد ،ومن طهر قلبه وتوضأ واغتسل فقد نال الطهارتين معا.

الحديث الخامس والعشرون :عن أبي ذرﷺ أن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ،ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي ،ويصومون كما نصوم

---

[1] ينظر : ابن منظور ،لسان العرب ج4،ص2712. (طَهُرَ).

[2] الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص:432 ،(طهر).

[3] السابق ،ص:857،(نَظفَ).

[4] ابن منظور ،لسان العرب ج6ص4468. (نَظَفَ).

[5] أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:264.

،ويتصدقون بفضول أموالهم قال: « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ،وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ،وَكُلَ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ،وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ ونَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ،وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلاَلِ ،كَانَ لَهُ **أَجْرٌ** » رواه البخاري ومسلم[1].

– اختيار مفردة " أجر ":

ما الفرق بين الأجر والثواب وما وجه النفع في اختيار هذه المفردة في هذا الحديث الشريف ؟

أ) الأجر والثواب في اللغة :

من معاني الأجر في اللغة الجزاء على العمل ومن معانيه أيضا بَرْأُ العظم المكسور وجبره[2] والثواب الرجوع والعَوْدُ وثاب الرجل إذا رجع بعد ذهابه[3] ،والثواب ما يرجع للإنسان من جزاء أعماله[4].

ومنه فإن الأجر والثواب يشتركان في معنى المكافأة على العمل.

ب) الفرق بين الأجر والثواب :

قال تعالى:﴿ ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ ﴾[5]والأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ولا يقال الأجر إلا في النفع دون الضر[6] قال عز وجل على لسان ابنة نبيه شعيب عليه السلام ۚ: ﴿ قَالَت إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾[7] فقد يكون الأجر

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:32.

[2] الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص: 342 ،(أجر).

[3] ابن منظور ،لسان العرب ،ج6ص:4468 ،(ثوب).

[4] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1ص:108،(ثوب).

[5] الشورى 31.

[6] الراغب الأصفهاني ،المفردات ،ص:12.

[7] القصص 25.

من الله وقد يكون من الناس ،ولا يكون الأجر إلا بالخير كما في جميع المواضع في الكتاب الحكيم[1] ،والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيسمى الجزاء ثوابا تصورا أنه هو هو، والثواب يقال في الخير والشر ؛لكن الأكثر المتعارف في الخير ،قال تعالى عن معنى الثـــواب بالخير: ﴿ فَأَثَـٰبَهُم ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ ﴾[2]،واستعاره في الشر بقوله : ﴿ هَل ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[3] ذلك لأن الثواب مشتق من الرجوع ؛والجزاء رجوع على المرء بما فعل إن خيرا فخيرٌ وإن شرا فشرٌ ،أما الأجر فهو تعويض يعطى مقابل جهد أو بذل ؛لذلك لا يكون شرا قط كما أن الثواب لا يكون إلا من الله[4].

الأجر يمتاز عن الثواب بأنه لا يكون إلا بالخير ولا يعود إلا بالنفع و_كما سبق_ فالأجر لا يكون إلا فيما كان عن عقد وما يجري مجراه ؛فكذلك العلاقة بين الله والعباد يربطها عقد العبودية منا له وعقد الألوهية والربوبية منه عز وجل إلينا وبمقتضى الشهادتين يعمل ويبذل العبد جهده في سبيل رضا الله عز وجل فينال الأجر مقابل هذا الجهد، ولهذا كان اختيار النبي ﷺ لمفردة الأجر وهو الاختيار الأنفع والأحق .

الحديث السادس والعشرون : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ،كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَمْسُ ؛تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ،وَتُعِينُ الرَجُلَ في دَابَتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ،وَالكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ صَدَقَةٌ ،وَبِكُلِ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ ،وَتمِيطُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » رواه البخاري و مسلم[5].

[1] محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:47.

[2] المائدة 85.

[3] المطففين 36.

[4] محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:48.

[5] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:33.

– اختيار مفردة " الطريق ":

السبيل ،النهج ،الصراط والطريق كلها مفردات تعبر بها العرب عن معنى المسلك ،وتستعملها كمترادفات ولكن إذا بدلنا مفردة مكان مفردة لا يستقيم المعنى ولا تستقيم المفردة مكان أخرى وفي هذا الحديث الشريف انتقى النبي ﷺ مفردة الطريق من بين المفردات المذكورة فما الفرق بين السبيل والطريق وما جدوى هذا الاختيار ؟

أ) الطريق والسبيل في اللغة :

الطريق السبيل[1] ؛ وسمي طريقا لأن الأقدام تطرقه أي تضربه[2] ،والسبيل في اللغة الطريق وسمي بذلك لامتداده[3] والسبيل للطريق السهل[4].

ومنه فالسبيل والطريق بينهما تقارب دلالي كبير وتشتركان في معنى المسلك الموصل للغاية .

ب) الفرق بين الطريق والسبيل :

لا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك[5]، كقوله تعالى :

﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[6] وهولا يقتضي السهولة[7] والطريق كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمودا كان أو مذموما ،ويقال الطارق للسالك للطريق[8]، والسبيل هو الطريق الذي فيه سهولة ،ويستعمل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيرا كان أو شرا [9]والسبيل أغلب وقوعا في الخير[10].ففي كثير من المواضع في التنزيل الحكيم جاءت لفظة السبيل مضافة إلى اسم الجلالة ولعل ما

---

[1] ينظر : ابن منظور ،لسان العرب ،ج4 ،ص:2665 ،(طرق).

[2] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج3،ص:130 ،(سبل).

[3] ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،ج4 ،ص:2665 ،(طرق).

[4] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:294 ،(سبل).

[5] نور الدين الجزائري ،فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،144.

[6] الأحقاف 30.

[7] أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ص:296.

[8] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص: 395.

[9] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص: 294.

[10] نور الدين الجزائري فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،ص:114

رشحها لهذا هو ملمح السهولة ؛ للتعبير عن وضوح المسلك إلى الله تعالى وسهولته على السالكين[1] ،قال عزوجل :﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾[2]

ومنه فإن الطريق أعم من السبيل والطريق يشمل ما كان محمودا وما كان مذموما وما كان سهلا أو صعبا ولهذا اختارها النبي ﷺ فالطريق شاق بالأذى وإماطة الحجر وأغصان الشجر خدمة لعباد الله تعالى يحتسبها الله عنده صدقة ،والسبيل ما كان سهلا خاليا من الأذى ومفردة الطريق غلب استعمالها على الطريق المضروب بالأقدام قال ﷺ : «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ » رواه مسلم[3] ،أما السبيل فهي للطريق السهل الواضح _كما سبق _وهو أغلب وقوعا للتعبير عن الشرعة والدين ،أكثر من وقوعها للتعبير عن المسلك المضروب بالأقدام ومنه فمفردة الطريق جاءت هنا أنفع في التعبير والاستعمال من مفردة السبيل.

الحديث السابع والعشرون : عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**البِرُّ** حُسْنُ الخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رواه مسلم[4].

– اختيار مفردة " البِر ":

كثيرة جدا أحاديث النبي ﷺ التي تبين أن أثْمَنُ شيء في الدين حسن الخلق وحسن الخلق من كمال المروءة ومكارم الأخلاق ،وأخبر بأن البر هو حسن الخلق ويقال أن البر هو الخير ،فما البعد الحجاجي لمفردة البر في هذا الحديث ؟

[1] محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:282.

[2] عبس 20.

[3] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:45.

[4] السابق ،ص:34.

أ) البر والخير في اللغة :

من معاني البر في اللغة الخير والصلاح[1] ومن معانيه أيضا الصلة والجنة والخير والاتساع في الإحسان [2]،والخير أصله العطف والميل والخير خلاف الشر لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه ،والخير الكرم[3] والاختيار الاصطفاء ،والاستخارة طلب الخيرة في الشيء[4]

ومنه فإن البر والخير يشتركان في الدلالة على النفع الواصل للإنسان .

ب) الفرق بين البر والخير:

البر التوسع في فعل الخير ويقال :بر العبد ربه بمعنى توسع في طاعته [5] ،والبر هو الخير الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك [6].أما الخير فهو النفع [7]وإن وقع عن سهو[8] والخير ضربان :خير مطلق وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد كالجنة مثلا ،وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيرا لواحد وشرا لآخر كالمال يكون خيرا ويكون شرا[9].

ومما سبق نصل إلى أن البر أعم من الخير والبر لا يكون ضرا ولا نقمة أبدا وهو أوسع من الخير والبر مطلق الخير،وأما الخير قد يكون ضررا ونقمة؛ فالمال الكثير يسمى خيرا[10] ،لكنه قد يكون شرا على صاحبه ،وبهذا الفرق نجد أن لمفردة البر بعدا حجاجيا يتمثل في أدائها لمعنى الخير المطلق والتوسع فيه، _والبر شيء معنوي ،بينما الخير يكون ماديا ومعنويا _ وهذا ما رشحها للظفر بهذا المكان من الحديث .

---

[1] ابن منظور ،لسان العرب ،ج1 ،ص:252. (بَرَرَ).

[2] الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص: 348 ،(برر).

[3] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج2، ص:232، (خير).

[4] ابن منظور ،لسان العرب ،ج2 ،ص:1300. (خير).

[5] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:51.

[6] نور الدين الجزائري ،فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،ص:82.

[7] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص:684.

[8] نور الدين الجزائري ،فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،ص:82.

[9] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص212،213.

[10] أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،ص:424.

الحديث الثامن والعشرون : عن أبي نجيح العِرباض بن سارية ﷺ قال: وعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ،وذرفت منها العيون ،فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ،قال : « **أُوصِيكُم** بِتَقْوَى الله عَزَّوَجَلَّ ،وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ،وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ ،فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اِخْتِلافًا كَثِيرًا ،فَعَلَيْكُم بِسُنَتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَاشِدِينَ المهْدِيِينَ ،عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَوَاجِذِ ،وَإِيَاكُم وَمحْدَثَاتِ الأُمُورِ ؛فَإِنَ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » رواه أبو داود والترمذي[1].

– اختيار الفعل " أوصيكم ":

قال ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » رواه مسلم [2] ،وفي هذا الحديث قال: « أوصيكم بتقوى الله عزوجل... » فما الفرق بين النصيحة والوصية وما وجه النفع في استعمال الفعل أوصيكم في هذا المقام ؟

أ) الوصية والنصيحة في اللغة :

الوصية في اللغة يدل على وصل شيء بشيء، ووَصَيْتُ الشيء بمعنى وصلته ، ووَصَيْتُ الليلة باليوم :وصلتها وذلك في عمل تعمله، والوصية كلام يُوصَل[3]، وأوصى الرجل ووصاه عَهِدَ إليه [4]،والنصيحة من النصح وهو نقيض الغش ،ونصحت :أخلصت وصدقت ،وكل خالص يقال له ناصح كالعسل الناصح وغيره [5].

ومنه فالجامع بين الوصية والنصيحة ملمح التبليغ والتوصيل .

---

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية ،ص:36.

[2] السابق ،ص:12.

[3] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج6 ،ص:116 (وصي).

[4] ابن منظور ،لسان العرب ،ج6 ،ص:4853 (وصي).

[5] السابق ،ج6 ،ص: 4438 ،(نصح).

ب) الفرق بين الوصية والنصيحة :

قال عز وجل: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ ﴾[1] وهذه وصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما ، وقال أيضا:﴿ **وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَبْرِ**﴾[2]وقال أيضا: ﴿ووَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[3].

يلاحظ أن مفردة الوصية جاءت في سياق المحبة المتبادلة والرفق والعطف وقبول النصح بصدر رحب ،ويلاحظ أنها تصدر من محب مشفق ،قد يكون مودعا وقد لا يكون فالوصية من التواصل وهذا جلي في قوله تعالى:﴿ **وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَبْرِ**﴾وفي هذه الآية لا نجد فئة محددة مأمورة بالوصية ،بل المجتمع كله له أن يوصي بالخير ،ونلمس في معنى التواصي التواصل والمودة والمحبة المتبادلة ،فالوصية مقبولة من طرف الموصى .

الوصية ترد في سياق العهد ،بما يتضمنه ذلك من محبة وإشفاق على الموصى ،وتأكيد للاهتمام بالأمر الموصى به[4] ، وأما النصيحة فهي إرادة الخير للمنصوح له [5] قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام ناصحا قومه : ﴿ لَقَد أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ ﴾[6] وقال أيضا على لسان نبيه هود عليه السلام : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ

---

[1] العنكبوت 8.

[2] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج6،ص265.

[3] البقرة 132.

[4] محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:379.

[5] عماد الدين ابن الأثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر ،تح: محمود محمد الطناحي ،المكتبة الإسلامية ، ط1 ،1963،ج5 ،ص:63.

[6] الأعراف 62/61/60/59.

قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴾[1]

وقال عزوجل مخبرا عن أمر قوم صالح عليه السلام ونصحه لهم : ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[2] وقال على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾[3].

نلحظ أن كل هذه السياقات مما وردت فيه مفردة النصيحة تدل على أن في النصيحة صبر ة على المنصوح ومشقة في النصح ،فقد يجد الناصح إعراضا ونفورا أو ربما أذى من المنصوح له فيصبر عليه ويتلطف ويتحلى بالحلم والأناة يقول ابن القيم (751هـ) : « النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه ،فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورِقَّة ،ومراد الناصح بها وجه الله تعالى ورضاه والإحسان إلى خلقه ؛فيتطلب في بذلها غاية التلطف ،ويتحمل أذى المنصوح ولائمته ويعامله معاملة الطبيب المشفق للمريض المشبع مرضا وهو يتحمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ،ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن وهذا شأن الناصح »[4]

[1] الأعراف 65/66/67/68.

[2] الأعراف 77/78/79.

[3] الأعراف 93.

[4] : ابن القيم ، الفروق لابن القيم ، ص:88.

ومنه نصل إلى أن استعمال النبي ﷺ مفردة الوصية في هذا المقام كونه ﷺ في قومه وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه وهو يجد فيهم إقبالا وطلبا للوصية ولم يلمس منهم إعراضا أو نفورا كما حدث مع الأمم السالفة وأنبيائهم ،وفي هذا الحديث أوصاهم بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين عند وقوع الفتن ونهاهم عن البدع والضلالات لشدة حبه ﷺ لأمته ورغبته في نجاتها ؛ففي الوصية القبول المباشر ،بينما قد يصطدم الناصح بالمنصوح له أوقد يستجيب المنصوح له بعد حين ،أما أصحاب النبي ﷺ قد طلبوا الوصية ورغبوا فيها ،لهذا كانت أوصيكم أحج وأصلح من أنصحكم في هذا المقام

الحديث التاسع والعشرون :عن معاذ بن جبلرضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار ،قال: « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ،وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْه :تَعْبُدُ الله وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ،وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ،**وَتَصُومُ رَمَضَانَ** ،وَتَحُجَّ البَيْتَ » ثم قال: « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىَ أَبْوَابِ الخَيْرِ ؟ **الصَوْمُ** جُنَة ،وَالصَدَقَةُ تُطْفِئ الخَطِيئَةَ كَمَا يَطْفِئُ المَاءُ النَارَ ،وَصَلاةُ الرَجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَيْلِ » ،ثم تلا :﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبهُمْ عَنْ المضَاجِعِ** ﴾ حتى بلغ ﴿ **يَعْلَمُون** ﴾ ثم قال: « أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ » قلت: بَلَى يا رسول الله .قال :« رَأْسِ الأَمرِ الإسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَلاةُ ،وَذُرْوَةُ سَنَامِه الجَهَادُ » ثم قال: « أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ » قلت بلى يا رسول الله ،فأخذ بلسانه وقال : «كُفَ عَلَيْكَ هَذَا » قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم ؟ به فقال :« ثَكِلَتْكَ أُمُكَ يَا مُعَاذُ ،وَهَلْ يَكُبُ النَاسَ فِي النّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ

_أَوْ قَالَ :عَلَى مَنَاخِرِهِمْ _ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتَهُم ؟ »[1] .

– اختيار مفردة " الصوم ":

أخبر النبي ﷺ معاذا رضي الله عنه في هذا الحديث عن أسباب دخول الجنة فذكر من بينها صيام رمضان ؛ثم دلَّه عن أبواب الخير فذكر الصوم من دون أن يضيف إليه رمضان ، فما الفرق بين الصيام والصوم وما وجه النفع في استعمال النبي ﷺ لمفردتي الصوم والصيام معا في هذا الحديث الشريف

[1] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:38.

أ) الصيام والصوم في اللغة :

الصوم والصيام في اللغة من الفعل صام و يدل على إمساك وركود في مكان[1] ،والصوم ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام[2]، والصوم الصمت[3].

ومنه فمعنى الصوم والصيام في اللغة واحد وهو الإمساك والكف عن الفعل .

ب) الفرق بين الصيام والصوم :

الصيام هو الكف عن المفطرات مع النية[4] قال الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[5] ،وقال أيضا : شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[6]،وأما الصوم فهو الكف عن المفطرات والكلام معا كما كان في الشرائع السابقة

،فقد قال عز وجل مخاطبا مريم ابنة عمران عليها السلام :﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾[7] .

وعليه فإن الصيام فريضة في شهر معين هو الامتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات

---

[1] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج3،ص:323. (صوم).

[2] ابن منظور ،لسان العرب ،ج4،ص:2529.(صوم).

[3] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،ص:1131. .(صوم).

[4] نور الدين الجزائري ،فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،ص:160.

[5] البقرة 183.

[6] البقرة 185.

[7] مريم 26.

أما الصوم فهو الكف عن الكلام بمعنى الصمت المطلق كما تبينه الآية من سورة مريم ؛والصوم غير محدد بوقت معين .

ومنه فالنبي ﷺ أراد بالصيام أداء الفريضة في شهر رمضان وأراد بالصوم الوقاية والاحتراز من الوقوع في القبيح والخبيث من القول قال ابن منظور (714هـ) :« الجُنَّةُ هي الدِرْعُ وكل ما وقاك فهو جُنَّة »[1] ؛فالصوم وقاية من المعاصي وذلك بكف اللسان عن الغيبة والأذى باللسان في شهر رمضان أو في سائر أيام السنة .

ونخلص إلى أنه لا وجود للترادف بين الصيام والصوم فلكل مفردة منهما معنى لا تؤديه الأخرى .

الحديث الرابع والثلاثون : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ رَأَىَ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ،فَإِنْ لمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ،فَإِنْ لمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ »[2].

– اختيار الفعل " رأى":

ما الفرق بين الرؤية والنظر ،وما البعد الحجاجي لاستعمال الفعل رأى دون أبصر أو نظر ؟

أ) الرؤية والنظر في اللغة :

الرؤية معناها النظر بالعين وبالقلب[3] ،والنظر تأمل الشيء ومعاينته[4].

ومنه فالجامع بين الرؤية والنظر هو معنى إدراك الشيء .

ب) الفرق بين الرؤية والنظر :

يستعمل الفعل رأى للتعبير عن معنى الإدراك بحاسة البصر وعن معنى الإدراك عن طريق الوهم والتخيل نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ

[1] ابن منظور ،لسان العرب ،ج1 ،ص:702 ،(جنن).

[2] الإمام النووي ،الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،ص:38.

[3] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،ص:1285.(رأى).

[4] ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج5،ص:444. (نظر).

﴾[1]،وللإدراك بالتفكر قال عزوجل :﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُم إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾[2]وللإدراك بالعقل نحو قوله تعالى ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[3].

وإذا عـــدِّي إلى مفعـــــولين اقتضـــى معنـــى العلم[4] نحو قوله تعالىوَيَرَى﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[5]،وأما النظر فتقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته

،ويقال نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه رأيته أولم تره[6] والنظر أدنى مراتب الإدراك بالعين ؛لأن الناظر قد لا يبصر ولا يرى[7].وقال عز وجل: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[8] قال أبوحيان التوحيدي (745 هـ):« لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي للإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه ،فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي»[9]، فالرؤية علم ثابت لا شك فيه ؛لذلك عبر بها عن العلم

[1] الأعراف 143.
[2] الأنفال 48.
[3] النجم 11.
[4] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج1 ،ص:275.
[5] سبأ 6.
[6] الراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ،ج2 ،ص:644.
[7] محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:135.
[8] الأعراف 143.
[9] أبو حيان التوحيدي ،البحر المحيط ،ج4 ،ص:381.

اليقيني[1] وهذا في قوله عزوجل :﴿ كلَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2].

ونصل إلى أن الرؤية هي الإدراك ،والنظر هو تقليب الطرف لرؤية الشيء ؛فالنظر مرحلة أولى والإدراك هو الغاية ،واستعمال النبي ﷺ للفعل رأى كان أنسب لأن في الرؤية معنى العلم بالشيء وإدراكه والوصول إليه ،فدلالة الرؤية هنا التبيُّن والتحقق من أن الشيء منكر يجب تغييره. ولا مجال للشك مع تحقق الرؤية .

[1] محمد محمد داود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ،ص:135.

[2] التكاثر6/7/8.

خاتمة

ومن كل جزء من هذا البحث نصل إلى نتائج يمكن ذكرها فيما يلي:

_ الحجاج نظرية لغوية ضاربة في عمق التاريخ وهو فن الإقناع عن طريق الخطاب .

_ الدراسات اللغوية الغربية الحديثة جعلت من نظرية الحجاج مبحثا لغويا مستقلا قائما بذاته .

_ يرى ديكرو وأسكمبر أن للغة_المفردات ،والتراكيب_ طاقة حجاجية تقود المتلقي لغاية حجاجية ،أو تقنعه بأمر ذي علاقة بالخطاب كاملا ،وهذه الطاقة الحجاجية تتجلى في الاختيار الواعي والدقيق لوحدات لخطاب من طرف المرسِل .

_ قانون الأنفع هو قانون حجاجي عام وهو الانتقاء المقصود والجيد للتراكيب والمفردات يجعل من المرسل يعزز حجته في أذهان المتلقين .

_ قانون الأنفع يُدحض المقولة القائلة بوجود الترادف المطلق _التطابق_ في اللغة ؛وذلك لأن بين مفردات اللغة المتقاربة المعاني تفاوتا في درجات التعبير عن هذه المعاني ؛وهذا التفاوت هو فروق دلالية قد نعلمها ونتفطن لها وقد تخفى علينا فلا نلزمها جهلنا فننكر وجودها .

_ قانون الأنفع هو الانتقاء الواعي للمفردات كما قد سبق ذكره ،وقد يطبق هذا القانون عن طريق الاختيار وقد يطبق أيضا بواسطة العدول بمعناه الأسلوبي وذلك من أجل غايات حجاجية .

_ قانون الأنفع له أصالة في التراث البلاغي العربي وهو من علوم البديع ،ومعروف عند البلاغيين العرب القدامى بفن التنكيت كما هو عند أسامة بن منقذ (580هـ) في كتابه "نقد الشعر"،وعند ابن أبي الإصبع المصري(654هـ)في مؤلفه"بديع القرآن"وعند السيوطي(911هـ) في "معترك الأقران" ،وعُرِف أيضا بمشاكلة اللفظ للمعنى كما هو عند الزركشي (794هـ) في مؤلفه "البرهان في علوم القرآن" أما تسميته بقانون الأنفع فهي من وضع الدكتور عبد الله صولة وذلك أسوة بديكرو . ويعبر عنه عند اللسانيين والأسلوبيين المحدثين بالاختيار وبالعدول أيضا .

_ الترادف إذا أردناه بمعنى التطابق التام بين معاني المفردات نقول :هو أن تدل لفظتان مفردتان أو أكثر دلالة حقيقية أصلية عن معنى واحد باعتبار واحد .

ـ أماعن حدود وقوع الترادف في اللغة فنراه نادر الوقوع ،إذ لا يخلو من أن يكون في اللغة ترادف لكن التكثر منه من غير الصواب ،فلكل مفردة من مفردات اللغة المتقاربة المعاني معنى خاص لا تحل محلها غيرها في تأديته ،قد ندرك هذا المعنى الفارق بين المفردات وقد يغمض علينا ،فإذا غمض لا نلزم اللغة جهلنا .

ـ ليس هناك قولا جامعا بين اللغويين القدامى والمحدثين يحدد وقوع الترادف ،فقد انقسم اللغويون إلى فريقين ؛فريق يثبت وجوده ويراه من توسع اللغة وهو فخر وقوة ،وفريق ينكره ويؤكد بأن لكل مفردة معنى يميزها عن غيرها .

ـ المقتضى المعجمي مأتاه معنى الكلمة المعجمي من :(الأسماء ،الصفات ،والأفعال) وهي وحدات معجمية ،صرفية إعرابية معا تحمل في ذاتها مقتضى وهي مسؤولة عن ظهور المقتضى في سياق الخطاب على أساس معناها المعجمي وهي ذات بعد حجاجي .

ـ مذهب الرافعي أن فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم توفيق من الله وتوقيف ويعتبرها هِبَة .

ـ خُص النبي صلى الله عليه وسلم بنشأة لغوية في أخلص وأفصح القبائل العربية .

ـ ارتباط النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم مكن لفصاحته أن تقوى وترسخ .

ـ من خصائص البيان النبوي الخلوص ،والقصد والإيجاز والاقتصار ،والاستيفاء .

ـ المقصود بحركة الكلمة الحجاجية هو أن تظفر المفردة بمكان لها من الملفوظ عوضا عن سائر المفردات وذلك لأن المقام يستدعيها أكثر من غيرها ،وتميزها بمجموعة من الخصائص عن غيرها .

ـ من خلال دراسة بعض المفردات من نصوص متن أحاديث الأربعين النووية نخلص إلى:

ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار المفردة الأنسب والأنفع بعناية ودقة وبعلم بدقائق الفروق الدلالية بين المفردات المتقاربات في المعنى ويحل كل مفردة منهن المحل الأنسب في المقام الأنسب لها للتبليغ .

ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل المفردات الفخمة الجامعة لجميع المعاني التي يريدها

في المقام الواحد فيقرها في مكانها المناسب الذي لا تصلح له غيرها من سائر المفردات ،ويجعلها مؤتلفة مع غيرها من سائر مفردات كلامه صلى الله عليه وسلم .

ـــ كان انتقاء النبي صلى الله عليه وسلم مفرداته في عملية التبليغ انتقاء تتحكم فيه غايات حجاجية ،وذلك لإقناع المتلقي بما يعرضه عليه من الخطاب .

ـــ كل مفردات الحديث النبوي الشريف سيقت لهدف حجاجي إقناعي في تبليغ الرسالة النبوية ،وكان صلى الله عليه وسلم لا يخاطب المتلقي إلا بما يعرفه المتلقي من القول .

ـــ لا نجد وقوعا للترادف في لغة الحديث النبوي الشريف مطلقا ،وكل مفردة متمكنة من مكانها ولا تسعفنا اللغة بمفردة مطابقة لها في المعنى تحاج حجاجها غيرها .

من أبرز وسائل الإقناع في مفردات النبي صلى الله عليه وسلم وضوحها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

الكتب :

01- الإتقان في علوم القرآن ،السيوطي ،تح: مركز الدراسات القرآنية ،المدينة المنورة ،2007

02-الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ،الإمام النووي ،دار الإمام مالك ،الجزائر،ط3، 2014

03- أساس البلاغة ،الزمخشري ،تح: م حمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1998.

04- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان ،زين الدين بن نجم ،تح: الشيخ زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1 ،1999.

05- الأضداد ،ابن الأنباري ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ،بيروت ،1987.

06- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ،عائشة عبد الرحمان ،دار المعارف ،القاهرة ،1971.

07- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط9 ،1983.

08- الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى ،الرماني ،تح: فتح الله صالح علي المصري ،دار الوفاء ،المنصورة ،ط1 1987 .

09- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،إشراف: حمادي صمود ،منوبة ،تونس 1998

10- البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ،رجاء عيد ،دار المعارف ،الإسكندرية ،ط1 ،1993.

11 - البرهان في علوم القرآن ،الزركشي ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار التراث ،القاهرة .

12- بديع القرآن ،ابن أبي الإصبع المصري ،تح: حفني محمد شرف ،دار نهضة مصر .

13- البديع في نقد الشعر ،أسامة بن منقذ، تح: أحمد أحمد بدوي ،حامد عبد المجيد ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،القاهرة ،1960.

14- البيان والتبيين ،الجاحظ ،تح: عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ط7 ،1998.

15- التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع .

16- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ،محمد نور الدين المنجد ،دار الفكر ،دمشق ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،ط1.

17- التعريفات ،الشريف الجرجاني ،مكتبة لبنان ،بيروت ،1985.

18- تفسير البحر المحيط ،التوحيدي ،تح: أحمد عبد الموجود ،علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية ،بيروت ط1 ،1993.

19- تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير ،تح: سامي بن محمد سلامة ،دار طيبة ،الرياض ،ط1 ،1997.
20- تهذيب اللغة ، الأزهري ،تح: إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1967.
21- الجدل في القرآن الكريم ،فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ،محمد التومي ،شركة الشهاب ،الجزائر .
22- جماليات المفردة القرآنية ،أحمد ياسوف ، دار المكتبي ،دمشق ،ط2 ،1999.
23- الحديث النبوي –مصطلحه-بلاغته-كتبه ،المكتب الإسلامي (بيروت ،دمشق) ،ط4.
24- الحجاج في الشعر العربي القديم ،سامية الدريدي ،عالم الكتب الحديث ،جدارا للكتاب العالمي ،الأردن ط1 ،2008.
25- الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ،عبد الله صولة ،دار الفارابي ،بيروت ،ط1،2001 .
26- الخصائص ،ابن جني ،تح: محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية .
27- دراسات في فقه اللغة ،صبحي الصالح ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط6 ،2009.
28- دور الكلمة في اللغة ،ستيفن أولمان ،تر: كمال بشر ،مكتبة الشباب، القاهرة ،ط3 ، 1978.
29- ديوان الخنساء ،الخنساء ،تح:حمدو طماس ،دار المعرفة ،بيروت ،ط2،2004
30- الرسالة التبوكية ،ابن القيم ،تح: محمد عزيز شمس ،دار عالم الفوائد ،جدة .
31- سلسلة الأحاديث الصحيحة ،الألباني ،مكتبة المعارف ،الرياض ،1995.
32– شرح الأربعين النووية ،ابن دقيق العيد ،تح: محمد عوض هيكل ،دار السلام للنشر ،القاهرة ،ط5،2012.
33- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،ابن فارس ،تح: أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 ،1997.
34- صحيح البخاري ، الإمام البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 2003.
35-علم الدلالة دراسة وتطبيق ،نور الهدى لوشن ،المكتب الجامعي الحديث ،القاهرة ،2006.
36- فرائد اللغة ،الأب هرينكوس لامنس اليسوعي ،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ،1989.
37- الفروق اللغوية ،أبو هلال العسكري ،تح: محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة .
38-الفروق لابن القيم، جمع يوسف الصالح فسح وزارة الإعلام ،عنيزة ،المملكة العربية السعودية ط1،1992
39-فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ،نور الدين الجزائري ،تح: محمد رضوان الداية ،مكتب نشر الثقافة الإسلامية ،2000.
40 – في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،طه عبد الرحمان ،المركز الثقافي العربي ،ط2، 2000.
41-في اللهجات العربية ،إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،2003.
42 – في نظرية الحجاج ،دراسات وتطبيقات ،عبد الله صولة ،مسكيلياني للنشر والتوزيع ،تونس

ط1،2011.
43-القاموس المحيط ،الفيروز آبادي ،تح:مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ط8،2005.
44- الكتاب ،سيبويه ،تح: عبد السلام هارون ،عالم الكتب ،بيروت ،1977.
45- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ،ابن تيمية ،تح: عبد الرحمان قاسم النجدي ،مكتبة ابن تيمية.
46- الكشاف ،الزمخشري ،تح: عادل أحمد عبد الموجود ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،ط1 ،1998.
47 – الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،أبو البقاء الكفوي ،تح: عدنان درويش ،محمد المصري مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط2 ،1998.
48- لسان العرب ،ابن منظور ،دار المعارف ،القاهرة .
49- اللغة والحجاج ،أبو بكر العزاوي ،العمدة في الطبع ،الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ،2006.
50- مبادئ في اللسانيات ،أحمد محمد قدور ،دار الفكر ،بيروت ،ط1 ،1996.
51- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ابن الأثير ،تح: أحمد الحوفي ،بدوي طبانة ،دار نهضة مصر ،القاهرة ط2
52- المجمل في اللغة ،ابن فارس ،تح: زهير عبد المحسن سلطان ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط2 ،1986.
53- مختار الصحاح ،الرازي ،تح: عصام فارس الحرستاني ،دار عمار ،عمان ،ط9 ،2005.
54-. معترك الأقران في إعجاز القرآن ،السيوطي ،تح: أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 1988
55 –المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،ط4 ،2004.
56- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،السيوطي ،تح: محمد أحمد جاد المولى بك ،محمد أبو الفضل إبراهيم ،علي محمد البجاوي ،دار التراث ،ط3.
57- مقاييس اللغة ،ابن فارس ،تح: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ،1979.
58- النهاية في غريب الحديث والأثر ،ابن الأثير (المحدِّث)،تح: محمود محمد الطناحي ،المكتبة الإسلامية ط1،1963.

الرسائـل الجامعـــية :

1-الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية ،ابتسام بن خراف ،أطروحة دكتوراه ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2009،2010.

2-دقائق الفروق اللغوية في القرآن الكريم ،محمد ياس خضر الدوري ،أطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد ،2005.

المجلات :

1-الحجاج في الدرس اللغوي الغربي ،نور الدين بوزناشي، مجلة العلوم إنسانية، السنة السابعة، العدد44، 2010.

2-مجلة دراسات مصطلحية مجلة حولية محكمة ،عبد الكريم مصلح البحلة ، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ،فاس ،المغرب ،العدد 14/13، 2014.

فهرس الموضوعات

الأية	
كلمة شكر	
الإهداء	
مقدمة.....	أ، ب، ج
الفصل الأول : مفهوم قانون الأنفع في الحجاج	
أولا: مفهوم الحجاج.....	05
1 – لغة	05
2– اصطلاحا.....	06
أ- الحجاج بما هو مرادف للجدل.....	06
ب- الحجاج بين الجدل والخطابة.....	07
ج _ الحجاج باعتباره مبحثا لغويا مستقلا بذاته.....	08
1 – الخطابة الجديدة أو البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتيكاه ...	08
2 – الطاقة الحجاجية للغة عند ديكرو وأوسكمبر	09
– التداولية المدمجة	10
– ثانيا: قانون الأنفع ومفهوم الترادف.....	11
1– قانون الأنفع	11
أ– مفهومه عند القدامى	11
ب– مفهومه عند المحدثين	12
2– التـرادف	14
أ– مفهومه لغة	14
ب– مفهومه اصطلاحا	15
ج-الترادف بين الإثبات والإنكار.....	16
1 – تأكيد الترادف في اللغة	16
2– تأكيد الفروق ونفي الترادف.....	18
ثالثا– قانون الأنفع ومفهوم المقتضى.....	21
مفهوم المقتضى المعجمي	21
الفصل الثاني:حركة الكلمة الحجاجية في متن أحاديث الأربعين النووية	
أولا – البيان النبوي مصادره وخصائصه	24
1 – مصادره.....	24
2 – خصائصه	25

ثانيا :مفهوم حركة الكلمة الحجاجية	26
ثالثا– حجاجية المفردة في الحديث النبوي	27
1– الفرق بين النية والقصد	28
2– الفرق بين العبادة والطاعة	30
3– الفرق بين الإيتاء والإعطـاء.....	31
4- الفرق بين الإرسال والبعث	33
5– الفرق بين الإحداث والتجديد	35
6 – الفرق بين الحلال والطيب	37
7– الفرق بين الاستطاعة والإطاقة	38
8– الفرق بين المرء والرجل	40
9– الفرق بين الصمت والسكوت	42
10– الفرق بين الغضب والسخط والغيظ.....	43
11 – الفرق بين الاتقاء والخشية.....	45
12 – الفرق بين الصنع والفعل والعمل	47
13– الفرق بين الإيمان والتصديق	48
14– الفرق بين الطهور والنظافة	50
15– الفرق بين الأجر والثواب	51
16– الفرق بين الطريق والسبيل	53
17– الفرق بين البر والخير	55
18– الفرق بين الوصية والنصيحة	57
19– الفرق بين الصيام والصوم	58
20 – الفرق بين الرؤية والنظر	61
– الخاتمة	65
– قائمة المصادر والمراجع	69
– فهرس الموضوعات	

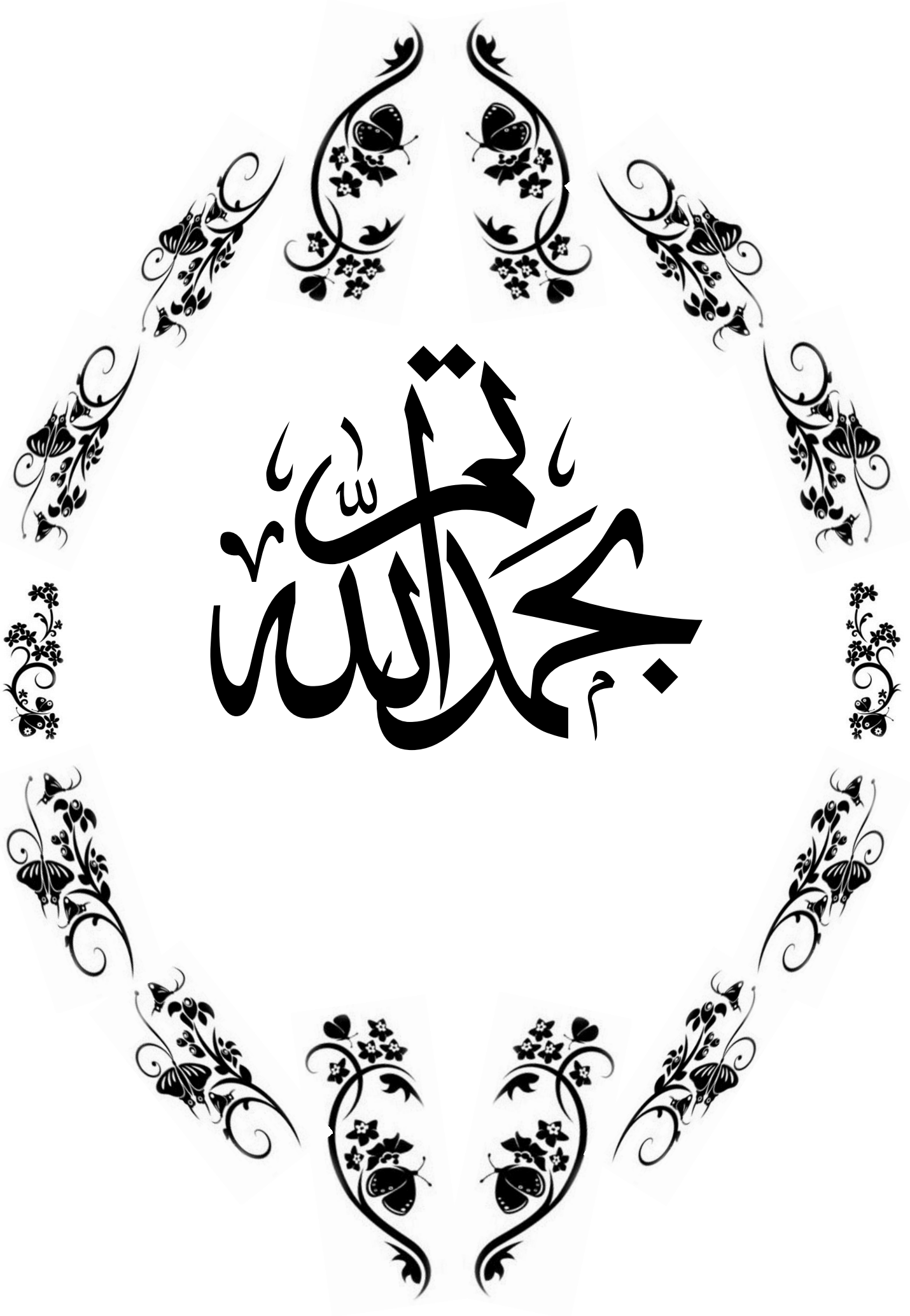
تم بحمد الله